تحرش فكري

مقالات تم نشرها في صحيفة المسار العمانية

2025

نورا بنت حمدون الهاشمية

المقدمة

التحرش الوحيد الذي لا يعاقب عليه القانون

ساعة الذئب وقيام الليل

شدني وأنا أقرأ رواية عبدالوهاب السيد الرفاعي، المعنونه ب"المعقد". وهي رواية نفسية بإمتياز، كعادة مهندسنا عبدالوهاب في أغلب رواياته.شدني ما ذكره من مصطلح يسمى بساعة الذئب ،ولقد بحثت عنها لأتأكد إن كانت حقيقة أم مجرد خيال الكاتب، وفعلا وجدت هناك شيء اسمه مصطلح ساعة الذئب ،لذلك قبل الولوج في الموضوع الذي أرغب في التحدث عنه بالتفصيل، سأطلعكم بداية على كلام مهندسنا الروائي فيما يتعلق بتعريف هذا المصطلح ومن أطلقه عليه ،وماذا يعني ،ولماذا سمي بهذا.

ورد في الرواية سابقة الذكر،ما يلي نصه:"ساعة الذئب يتحدث هنا عن فيلم الرعب السويدي الشهير للمخرج (انجمار بيرجمان) والفيلم من إنتاج عام 1968... ويعد أهم أفلام الرعب في

تاريخ السينما على الإطلاق.. بناء على استفتاء أجرته جمعية الأفلام البريطانية عام 2012.. وقد تحدث مخرج الفيلم عن سبب اختياره لهذا الاسم.. حين قال عبارته الشهيرة الخالدة: ((ساعة الذئب تشير للوقت بين الثالثة إلى الخامسة فجرا.. ويقال أنها الساعة التي نكون خلالها في أوهن حالاتنا النفسية والجسدية.. ففي هذه الساعة ينتحر من أصيب باكتئاب.. وتحدث النوبات القلبية وجلطات المخ لمن هو على استعداد لذلك.. إنها الساعة التي يكون فيها النوم عميقا جدا.. وتكاد الكوابيس تتحقق إنها الساعة التي تسيطر فيها أعمق المخاوف على نفوس البشر.. وتكون الأشباح والشياطين في أوج قوتها)).. وقد تم اقتباس اسم الفيلم عام 1972 لعمل برنامج إذاعي يتحدث عن قصص الرعب والغموض.. ويبث من (نيويورك) بواسطة قناة .. إذ يتم خلاله استضافة العديد من الكتاب في هذا المجال.. علما بأن البرنامج ما زال

مستمرا حتى يومنا ويعد أحد أقدم البرامج الإذاعية في العالم.

هذا ."..

ولعل المتعمق الكثير في ما جاء من نص، يركز على جمل معينة بحد ذاتها، منها الساعة التي يكون فيها النوم عميقا، وتكون النفس البشرية في أضعف وأوهن حالاتها النفسية والجسدية، وهي الساعة التي تنتشر فيها الشياطين والأرواح بصورة كبيرة حسب الفلكلور الأسكندنافي .

لعل كل هذه الأمور التي ذكرتها، والتي تنص على الساعة من الثالثة فجرا إلى الخامسة فجرا، وهي تقريبا وقت الثلث الأخير من الليل، تجعلنا ندرك عظمة الدين الإسلامي، ونتسأل عن سر عظيم من أسراره، وهو لماذا كان أجر قيام الليل أكثر في الثلث الأخير من الليل حيث يكون العبد فيه أقرب لربه، والدليل قول الرسول صلى الله

عليه وسلم :"أقرب ما يكون الرب عز وجل من العبد في جوف الليل، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن". ولماذا ناشئة الليل أشد وطئا وأقوم قيلا ،حيث يثني الله تعالى عليهم في قوله:": تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ". ولماذا أكثر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذكر فضل قيام الليل في الثلث الأخير ،ولماذا كان يحث أصحابه على هذا ،ولماذا كان قيام الليل محل مدح له صلوات ربي وسلامه عليه في الكثير من السور والآيات، وخاصة سورة المزمل،وما علاقة قيام الليل بعلاج الإكتئاب والتقليل من الإنتحار ،حيث يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن قيام الليل مطردة للداء من الجسد ،حيث قال: "عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله

ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد". فعن أي داء يتكلم الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ !

وهل هذا يفتح أذهاننا إلى أهمية قيام الليل، التي كان أشد وطئا كون أن النوم في ساعة الذئب، أي ساعة القيام، يكون أشد عمقا وأغور قاعا ،وتكون النفس أشد ضعفا وأوهن حالا ،لذلك تحتاج إلى هذا المدد الروحاني ،الذي من تمسك به، فقد جاهد جهادا عظيما ،وأنفتح له باب هائل من أبواب تهذيب النفس والرقي بها روحيا.

مسجد باني روحه لم يبن روحه

علم النفس علم جميل جدا ،ففيه تعرف أسرار كثيرة للنفس البشرية، حتى أنك قد تتعجب من حدودها وقدراتها الكامنة التي لا تتوقع أن تتجاوزها رغم بساطتها وضآلتها. وكوني أملك خلفية في هذا العلم، وسبق أن قرأت كتبا كثيرة تتحدث عن اضطرابات النفس البشرية ،ومنها رواية ليثيوم، للمؤلف تميم هنيدي.

حقيقة وأنا أقرأ أحد القصص الموجودة في الكتاب ،لشخص مريض بثنائي القطب، شدتني نقطة ،قد يمر عليها البعض مرور الكرام ،وهي نقطة الهوس عند مريض ثنائي القطب، فثنائي القطب شخص يتميز بنوبات متفاوتة ومتبادلة من الإكتئاب والهوس ،وفي نوبة الهوس يستطيع فعل أشياء كثيرة لمدة طويلة دون نوم أو راحة، بل يشعر بنشاط كبير ،يجعله لا يتوقف عن فعل الشيء حتى يكتمل ،ولقد ذكر المؤلف تميم الهنيدي ،في الرواية سابقة الذكر، قصة الرجل الذي قام بتحميل شاحنة كاملة لوحده بالليل،

وتفاجأ أصحابه في الصباح بذلك. ولكن هذه القصة العجيبة ألا تذكركم بشيء؟!
كلنا يعرف الأسطورة التي تربط المريض النفسي بالجن والشياطين، من مس أو تلبس أو غيره، لكن ما يثيرني في هذا الموضوع، أسطورة مسجد باني روحه، والسؤال الذي أطرحه، لماذا زعم البعض أن من مبنى المسجد هم الجن؟
مسجد باني روحه، هو مسجد صغير جدا ،بني بالطين فقط دون أعمدة أو سقف، وهو يتسع لحدود 20 مصلي فقط،ونظرا لصغر حجمه ،فهذا يثير في أنفسنا شكوك، أن من بناه كان يعاني حسب الواضح، من الهوس وقلة النوم ،لأنه حسب الأسطورة، المسجد بني في الليل ،يعني أن من بناه، كان لا ينام الليل أحيانا، والأمر الثاني، أنه كان يعاني من نوبة هوس وفرط نشاط تجعله لا يتوقف عن العمل حتى ينهيه تماما. لذلك فحسب ما تعلمته من علم النفس، وتشخيص الأمراض ،أشك أن من بنى المسجد ،هو شخص كان يعاني من مرض نفسي اسمه ثنائي القطب، يتميز بنوبات متناوبة بين الهوس والإكتئاب. وهؤلاء

المرضى يتميزون بالذكاء والأبداع ،لذلك لا يستحيل هذا الإحتمال أبدا.
والآن، هل عرفت ما السر الذي دفع البعض للإعتقاد أن من مبنى مسجد باني روحه، كانوا هم الجن؟! وهل عرفت العلاقة التي تجمع بين المريض النفسي وبين المس والتلبس؟!
في النهاية يظل هذا المقال وجهة نظر، ولكن وجهة نظر منطقية حسب العلم الحديث. فإن تعذر معرفة السبب في الماضي، فأصبحنا الآن نعرف ذلك بفضل العلوم والتقنيات المختلفة ،وفي الختام، لا شيء يستحيل .

الإكتئاب والتدين:ثمة علاقة؟

استفزني كثيرا ردود الناس حول الفيديو الذي نشرته نعيمة المقبالي ،والذي تشكي فيه حالتها ومعاناتها مع الإكتئاب. واستفزني أكثر، أشياء أخرى كثيرة، منها أني طالبة علم نفس وطالبة علم شرعي أيضا. وفي نفس الوقت وفوق كل هذا، أعاني وقد عانيت من نوبات إكتئاب حادة ،ولدي خبرة في هذا المجال، وأعرف ما هي الأسباب التي تقود الشخص إلى تراكم هذه المشاعر النفسية لديه. وثانيا:لدي رد وتعليق على آية رددها الكثيرون في موضوع نعيمة المقبالي ،وهي هذه الآية من سورة طه، الآية رقم 124.. قال الله تعالى:"ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى". وحقيقة أن السبب أني بحثت عن تفسير هذه الآية ،ووجدت أن بعض العلماء فسرها قديما بالحياة الدنيا ،كونهم لم يطلعوا على العلوم الحديثة ولم

يعرفوا ما نعرفه الآن، لكن في نفس الوقت هناك من فسرها بأن المعيشة الضنك هي حياة القبر وضمة القبر، ومن فسرها هكذا هو

ما قاله سفيان بن عيينة ، عن أبي حازم ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد في قوله : (معيشة ضنكا) قال : يضيق عليه قبره ، حتى تختلف أضلاعه فيه . وما قاله أيضا ورواه بعض السلف مثل

ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الله ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل : (فإن له معيشة ضنكا) قال : " ضمة القبر."

والدليل أن المعيشة الضنك ليست حياة الدنيا التي يقصدها الله تعالى، هو آية أخرى في سورة النحل، آية رقم 106، حيث قال الله تعالى فيها":

من كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"

فهذه الآية من سورة النحل، تدل دليلا قاطعا أن الكافر قد ينشرح صدره للكفر ،كما ينشرح صدر المؤمن للإيمان. فأين المعيشة الضنك التي توعدها الله إياه إذا فسرنا قولنا أن المعيشة الضنك هي الحياة الدنيا؟

أو لسنا نرى الكثيرين الذين يفسقون ويزنون ويسرقون وقد هاموا في الأرض فرحا وبطرا وخيلاء؟ والدليل قارون الذي كان فرحا ومتكبرا خيلاء. وقد قال له الناصحون:"لا تفرح، إن الله لا يحب الفرحين".الآية 76 من سورة القصص .

أو لسنا نرى حزن أيوب وحزن سيدنا يعقوب حتى ذهب بصره، وحزين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فقد ولده إبراهيم ؟

ليس الأنبياء فقط ،فهذا هو الإمام أبي حامد الغزالي الملقب بحجة الإسلام ،يتعرض لمرض نفسي وقد أوهن جسمه وعظمه ،وذهب بفكره وذهنه ،جعله يهيم في أرض الله حتى شافاه الله وعافاه.. حيث قال في كتابه المنقذ من الضلال، واصفا نوبة إكتئاب قد تعرض لها:"حتى ما عدت أستسيغ الطعام،وضعفت المعدة،وكرهت الطعام والشراب،وأصابتني سوداوية وإغتمام،وضعف جسمي حتى أصبحت عاجزاً عن النطق وصعب عليّ الكلام ."

فهل كان حجة الإسلام كافرا أو ضيق العيشة؟

أوليس الإكتئاب إلا نوبة حزن وضيق ؟

ثم أن هناك أنواعا للإكتئاب ،فقد أثبت الطب الحديث، أن المرأة بعد الولادة معرضه لإكتئاب ما بعد الولادة، فهل المرأة هنا بعيدة عن ذكر الله

ولها معيشة ضنكا، وهي التي حملته وهنا على وهن ؟

أو ليس هناك متلازمة إكتئاب ما قبل الطمث ؟!

فهل هي من اختارت أن تتعرض له ؟

أوليس هناك الإكتئاب الموسمي، وهو الإكتئاب الذي قد يصيب البعض في بعض الفصول بسبب تغير الجو سواء البرد الشديد أو الحر الشديد؟.

هل هم من اختاروا أن يتعرضوا للإكتئاب في هذا التوقيت ؟!

وإذا كان الإكتئاب سببه البعد عن الله، فهل يختار الإكتئاب موسم دون موسم معين؟!

حتى أن هناك نوعا من الإكتئاب يصيب الأطفال الصغار، ولقد شاهدت حالة طفل بنفسي، فما ذنب الطفل أن يصاب به وهو لم يعقل بعد معنى الدين ولا الإسلام؟

صحيح، أن القرآن شفاء، ولكن لا تقطع بأن من يصاب بالإكتئاب بعيد عن ذكر ربه، فقد تتكالب عليه ظروف الجسد وهرموناته وغدده مثل هرمون الغدة الدرقية ،مع ظروف الحياة والمشقة، فلا يستطيع تجاوز الألم وتخطيه ،وقد يمنعه قولك المتزمت هذا من طلب المساعدة والذهاب للمختصين واللجؤ لهم. لذلك على المرء أن يتقي الله في كلامه، وصدق المثل الذي قال:"يوم لك ويوم عليك". فلا تدري من يبتلى به من أهلك قريبا ،وقد أصبح مرض العصر حقا.وتذكر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم مواسيا من يصاب به في حديثه الكريم:"ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها خطاياه " متفق عليه.

الحج أو الزواج:أولوليات منسية

مع اقتراب موسم الحج كل عام، تتوجه أنظار الآلاف من المسلمين في سلطنة عُمان إلى الديار المقدسة لأداء ركن الإسلام الخامس. وقد بلغ عدد الحجاج العُمانيين لهذا العام ما يقارب 14 ألف حاج، في وقت تشهد فيه السلطنة تحديات اجتماعية واقتصادية متزايدة، وعلى رأسها ارتفاع معدلات البطالة، وتأخر سن الزواج، وتراجع معدلات الإنجاب. هذا المشهد يدعو للتأمل والتساؤل الجاد: هل ما زالت الأولوية للحج في ظل هذه الأوضاع؟ أم أننا بحاجة لإعادة توجيه الموارد نحو أولويات أكثر إلحاحًا تخدم المجتمع بأسره؟

متوسط تكلفة الحج للفرد الواحد في السلطنة تتراوح بين1000-2000 ريال عُماني، وإذا قمنا بحساب تقريبي، فإن إجمالي ما تم إنفاقه هذا العام

تقريبا 30 مليون ريال عماني. هذه المبالغ الطائلة، لو أعيد توجيهها نحو قضايا داخلية ملحة، مثل تزويج الشباب المعسرين، أو دعم صندوق الزواج الوطني، لكان لها أثر عميق في استقرار المجتمع وتحقيق العدالة الاجتماعية.

في عام 2024، تراجعت معدلات المواليد بنسبة 2.2٪ مقارنة بالعام السابق، مما يعكس تراجعًا في معدلات الزواج، وزيادة في أعداد العازبين والعازبات الذين يعانون من ضغوط نفسية، وعوائق اقتصادية تعيق تأسيس الأسر. البطالة بين الشباب، وغلاء المهور، وارتفاع تكاليف المعيشة تجعل من فكرة الزواج حلمًا مؤجلًا للكثيرين، ما يخلق حالة من الإحباط والتوتر النفسي، بل وربما يدفع البعض إلى الانعزال أو السلوكيات السلبية.

في المقابل، لو تم استثمار جزء بسيط من المبالغ التي تُنفق سنويًا على الحج في برامج تزويج جماعية، وتقديم دعم مادي للمقبلين على الزواج، لساهم ذلك في بناء أسر مستقرة، ومجتمع متوازن، وشباب أكثر تفاؤلًا وإنتاجية.

من المهم التأكيد أن الحج فريضة على من استطاع إليه سبيلًا، وليس فرضًا متكررًا، ولا هو عبادة مقدّمة على حساب الضروريات المعيشية. في ظل الأوضاع الراهنة، يصبح من المشروع – بل والمطلوب – أن يُعاد النظر في أولوية أداء الحج، خاصة لمن سبق له أداؤه، أو لمن يمكنه تأجيله دون تفريط.

إن الإسلام ذاته يدعو إلى تحقيق المصالح ودرء المفاسد، ويحث على رفع المعاناة عن المحتاجين،

وتمكين الشباب من تأسيس أسر كريمة. ألم يكن تزويج شابٍ معسر، أو ستر أسرة فقيرة، من أعظم القربات إلى الله؟ أوليست هذه الأعمال صدقات جارية يستمر نفعها لعقود، وربما لأجيال؟

في ظل ما تمرّ به المنطقة والعالم من تحديات اقتصادية، تحتاج السلطنة إلى كل ريال يمكن استثماره في الداخل، لتنشيط السوق المحلي، ودعم المشاريع الشبابية، وتمويل المبادرات الاجتماعية. إعادة توجيه الأموال التي تُنفق في الحج سنويًا نحو صناديق تنموية اجتماعية، سيخلق فرص عمل، ويعالج المشكلات البنيوية، ويوفّر حلولًا واقعية لمشاكل البطالة وعسر الزواج.

في الختام. ليس الغرض من هذا المقال التقليل من مكانة الحج أو الانتقاص من أجره، ولكنه دعوة لفتح حوار مجتمعي جاد حول الأولويات، خصوصًا في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها سلطنة عُمان. نحن بحاجة إلى تديّنٍ واعٍ، يوازن بين أداء الشعائر، وتحقيق العدل الاجتماعي، وتلبية حاجات الأفراد الحقيقية. فربّ حجّة يُعاد أداؤها كل عام، لا تساوي في ميزان الله صدقة خفية، أو زواج شاب كان على حافة الانهيار.

الدعاية السوداء

كل عاقل يدرك الآن ،أن الحرب التي تدار خلف الشاشات حاليا، هي ليست حرب البنادق والرشاشات ،بل حرب العقل والعاطفة ،والتي تسمى بالحرب النفسية. فالحرب النفسية هي حرب إرادة ضد إرادة، وعقل ضد عقل، وليس حرب جسد ضد جسد. فالله تعالى يقول :"وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة".لكن العجيب في هذه الآية، الدقة العظيمة في السرد، فهي أجملت ما نحتاجه في كل حروبنا بالقوة، ولعل كثير من السطحيين، كانوا يظنون بعقولهم البسيطة ،أو كما حاولوا أن يوهمونا ،أن القوة هنا، هي القوة المادية فقط، لذلك تنفق جيشوهم المليارات من أجل التصدي للغزو والحرب ،لكن نسوا أو تناسوا قوة أخرى، لمح لها القرآن الكريم في الآية التي بعدها ،بقوله :"ترهبون". فالقوى ليست مادية فقط ،بل هناك قوى معنوية ،وهي قوة العزيمة وقوة

العقل والفكر. فالسؤال الذي يطرح هنا:ماذا أعددنا لهذه القوة ؟

والحرب النفسية أسلوب قديم جدا ،ومن قدمه يشاع أنه حتى الأسكندر المقدوني استخدمه في جيشه، لبث الرعب في صفوف أعدائه ،فكان يصنع دروع وسيوف وخوذات ضخمة ،ويتركها خلفه في المعركة، فعندما يرى العدو ضخامة هذه الأدوات ،كان يظن أن الجيش يمتلك عمالقة يحاربون معه ،فيمتنعون عن ملاحقة جيش الأسكندر.واستخدمت أمريكا ما يقارب 1262 عالما نفسيا في حربها العالمية الثانية ،حسب ما ذكر في كتاب الحرب النفسية والطابور الخامس للمؤلف رمزي المنياوي .

فالملاحظ الذي نلاحظه في هذه الحرب النفسية على الأمة،أن العدو يبث أفكاره المسمومة والمغلوطة ،ودعاياه السوداء كثيرا ،لكن الأمة

مشغولة جدا بالدفاع، ولم ننتقل لمرحلة الهجوم ،التي لا نجيدها حاليا، رغم كثافة المسلمين السكانية التي تقارب المليارين مسلم في العالم. ومن ضمن خطط الهجوم ،لابد أن تأتي خطوة مهمة جدا ،وهي خطوة تعرية هذه الحروب ،وكشف أدواتها وأساليبها ،والتأكيد على ضرورة التسلح بالمعرفة والعلم والعقل والفهم من أجل مواجهتها، فليست الحصانة النفسية فقط هي الأسلوب ،بل الحصانة المعرفية أيضا.

ومن ضمن أساليب الحرب النفسية التي فاشت في دولنا وعلى منصاتنا خاصة ،هي الدعاية السوداء، والدعاية السوداء هي كل دعاية غرضها أسود كاسمها ،ومصدرها أسود من اسمها، وهدفها ومن يديرها أحلك من هذا كله. وقد انتشرت كثيرا ،في مواقع التواصل، ولابد من تنبيه الأمة والشعب عليها ،ليدركوا خطرها ويحترزوا منها ،وينتقلون لمرحلة الهجوم وليس التصدي لها فقط.

ومن باب تعريتها، لابد من التركيز على أهم ملامح هذه الدعاية السوداء وهي التالي:

أولا:مصدرها غير موثوق وخاصة حسابات وهمية أو معرفات غير محددة، أو أشخاص نكرات مجهولين ،وثانيا :تأتي من أكثر من حساب يشتركون نفس الموضوع ،فكلما زادت عدد الحسابات التي تتحدث عن الموضوع بأسلوب الدعاية السوداء ،زاد تصديق الناس لهذا الموضوع وزاد تقبلهم له ،لذلك يعتمد هؤلاء على عنصر التكرار لترسيخ الفكرة،ومن سماتها أيضا أنها تأتي وقت الحروب والأزمات والمواضيع الساخنة الحادة ،لتثير الجدل أو تشعل نار الفرقة والخلاف ،ويكون هدفها واضح من خلال الردود التي تأتي عليها، ومدى تأثيرها في الناس ،فغالبا المواضيع التي تثير الناس للردود العنيفة والغاضبة ،هي مواضيع تتبع للدعاية السوداء ،ورابعا من أهم صفاتها التي تميزها أنها تحتوي

على مغالطات منطقية أو تحاليل غير علمية ،يدركها فقط من تسلح بالوعي والفهم والثقافة ،وهنا يبرز دور هؤلاء المحللين في التصدي لها.

خامسا:من العلامات التي تعرف بها هذه الدعاية السوداء أنها تخدم جهة معينة ،وتشوه صورة جهة أخرى ،كما تمتاز أيضا بالعاطفية والقدرة على تحريك المشاعر والأحاسيس والتلاعب بهما جيدا.

لكن السؤال الذي يحيرني بهذا كل هذا العرض، هو إذا لم يتوقف الخصم من بث هذه الدعاية السوداء على حسابنا، ألا يجوز أن نستخدم نفس الأسلوب والقوة بالدعاية السوداء هذه ،لكسر عزيمته ومعنوياته ،وكسر إرادته وشلها ،وما مدى مشروعيتها كأداة نستخدمها للهجوم بدل الدفاع المستمر ،وخاصة أن الأمة في حالة حرب الآن مع أقطاب كثيرة من النسوية و الإلحاد والشذوذ؟

في الختام، لابد من التأكيد على أهمية وضرورة الوعي للتصدي لهذه الحرب ،بكل وسائلها وطرقها ،ولا يكون ذلك إلا بالحصانة النفسية وتنميتها بجانب الحصانة العقلية الأهم أيضا. وهذا ما يجب غرسه في أبنائنا ،فهل نحن مستعدون لذلك ؟

الإلحاد العاطفي

انتشرت ظاهرة الإلحاد كثيرا بين صفوف شبابنا ،وخاصة مراهقينا، فما إن صدرت رواية في قلبي ملحد للكاتبة رند دالاتي ،حتى تهافتت عليها الفتيات الصغار في المدارس، تداولنها سرا بينهن وكأنها وليمة سرية ،وهذا النوع من الإلحاد نوع بعيد جدا عن العقل والمنطق، فهو لا يستند لمحاججات منطقية وبراهين عقلية ،بل يعتمد على العاطفة، وخاصة لدى النساء ،حيث أجادت الكاتبة سابقت الذكر في الترويج للإلحاد عن طريق مداعبة العاطفة بالحب والهيام ،وهذا النوع من الدعاية يحتاج لدعاية مضادة،تحسن من صورة الإسلام وتجذب المراهقين له كما حدث في رواية في قلبي رجل قسامي إبان حرب إسرائيل الغاشم على غزة في طوفان الأقصى

،لكن الإسلام والإيمان به ،يحتاج إلى قوة يقين وضخامة عزيمة ،تجعل أفكاره ومعتقدته ترسخ في ذهن شبابنا وفتياتنا.

فالإلحاد العاطفي، لا يقوم على مشاعر الحب فقط ،بل على مشاعر أخرى عاطفية من الغضب والسخط والكره والحقد والتعرض للظلم واليأس ،وخاصة لمن يتعرض له في مقتبل الحياة، ولديه خبرة تعاملية ضعيفة جدا، ولا يزال إيمانه ضعيف هش ،ورغم أن الكثير من الأنبياء أصابهم لحظة ضعف ،مثل سيدنا يعقوب وسيدنا يونس وسيدنا أيوب،لكن قصصهم كانت قدوة لنا في الصبر والعزم وقوة الإيمان ،فما الذي يدفع العاطفة للسيطرة على الشخص وتورده للإلحاد ؟!

السبب بسيط جدا ،وهو طريقة معالجة هذه المشكلة، فالإلحاد العاطفي هو أكثر أنواع الإلحاد أنتشارا وأشدها قوة وفتكا ،حيث تؤدي في الغالب

للإنتحار والعياذ بالله مثل ما حصل لريم العمانية في بريطانيا قبل سنوات.

الفقهاء والدعاة أخطئوا كثيرا في معالجة الإلحاد العاطفي، فهذا النوع لا يتطلب حججا عقلية ،ولا تحليلا يستند للعلم والمعرفة ،كما قام به الشيخ الجليل أحمد الخليلي، في كتابه مصرع الإلحاد ،بل يحتاج إلى تفهم وإحتواء عاطفي ووجداني وشعوري ،سواء عن طريق نفس الأسلوب الذي انتشر به الإلحاد، أو بأسلوب الحوار والتزلف لهؤلاء الشباب ،ومحاولة فهم لب المشكلة ،فكم من معاناة ولدت لدى هؤلاء المراهقين سؤالا قصم ظهورهم ،جعلهم يصرخون متوجعين :أين الله من كل هذا؟!

وهذا ما حصل تماما مع المرحومة التي انتحرت قبل أعوام وذكرت في رسالة أنتحارها المنمقة، أين الله عن ما يحصل في العالم؟

فالمعاناة قد تدخل الإنسان دوامات من الشك والحيرة، وخاصة بسبب هشاشة المراهقين النفسية ،التي تركز على هذه المشاعر وتضخمها وخاصة في هذا العصر ،وهذا ما ذكر تفصيلا، في كتاب الهشاشة النفسية للدكتور إسماعيل عرفة ،وينبغي على كل شاب الإطلاع عليه للفائدة.

في الخاتمة، لابد من الإيمان بأن هناك إلحاد يختلف عن الإلحاد العقلي، وهو منبعه القلب والمعاناة ،ولابد من إحتواؤه ليس بالعقل والمنطق والمحاججات العقلية، بل بالغوص في لب المشكلة والتعرف على السبب الرئيسي لها، وهذا يحتاج إلى دعاة ومختصيين يعرفون من أين تؤكل الكتف.

الغزالي والأرقام:السر المخبأ

لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي ،كتاب يهاجم فيه الفلاسفة والمتفلسفين ،وهو الكتاب الذي عرف ب:"تهافت الفلاسفة". وقد حارب فيه هذه العلوم الفلسفية ،وكانت في بداية الأمر الرياضيات والعلوم الحسابية والفلكية، من ضمن الفلسفة، وكان يختص بها الفلاسفة والعلماء الطبيعيين ،لذلك حذر منها في البداية، وحرم السير في هذه العلوم، التي أغلبها ظنية ،لا تقطع بشيء وخاصة لو كانت تتطرق للدين والأمور الشرعية ،وكانت حجته كيف نستدل بالظني على شيء قطعي؟!

كما أنه في كتابه الآخر، المعنون ب"المنقذ من الضلال"، يعلل سبب تحذيره من علوم الرياضيات حيث جاء في كلامه :" والهندسة وعلم هيئة العالم ، وليس يتعلق شيء منها بالأمور الدينية نفياً وإثباتاً ، بل هي أمور برهانية

لا سبيل إلى مجاحدته بعد فهمها ومعرفتها. وقد تولدت منها آفتان:

احداهما الأولى: ان من ينظر فيها يتعجب من دقائقها ومن ظهور براهينها ، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة ، ويحسب أن جميع علومهم في الوضوح وثاقة البرهان كهذا العلم. ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ما تناولته الألسن فيكفر بالتقليد المحض ويقول: لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم! فإذا عرف بالتسامع كفرهم وجحدهم استدل على أن الحق هو الجحد والإنكار للدين..... . فكلام الأوائل في الرياضيات برهاني ، وفي الإلهيات تخميني ؛ لا يعرف ذلك إلا من جرّبه وخاض فيه. فهذا إذا قرر على هذا الذي ألحَدَ بالتقليد ، لم يقع منه موقع القبول ، بل تحمله غلبة الهوى ، والشهوة الباطلة ، وحب التكايس ،

على أن يصر على تحسين الظن بـهم في العلوم كلها.

فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم ، فقل من يخوض فيها إلا وينخلع من الدين وينحل عن رأسه لجام التقوى ."

لكن ما حيرني في موضوع نظرته لهذه العلوم

وخاصة الرياضيات،حيث حذر منها ليس لذاتها بل يحذّر من الانبهار الأعمى بعلماء الرياضيات الذين كانوا في عصره فلاسفة مادّيين، يُدرّسون العلوم العقلية ويقحمون معها أفكارًا إلحادية أو شكوكية في العقيدة.

كان الغزالي يخشى أن يُفتتن الشاب المسلم بمنهجهم الدقيق في الحساب والهندسة، ثم يظن أن

أقوالهم الفاسدة في الإلهيات والأخلاق تحمل نفس القدر من الدقة والصحة، فيقع في الارتباك العقدي أو الانبهار الفلسفي.

الأمر مهم جدا ،وهو أن الرياضيات صحيح كان علم حديث نسبيا أنفصل عن الفلسفة قريبا، وشكل علما مستقلا ،لكن علم الرياضيات ،من العلوم التي سادت ضمنيا وواقعيا لدى ما قبل الصحابة، فكيف كان التجار يتعاملون بدون رياضيات، في عصر الجاهلية، وحتى عصر الإسلام، عندما ظهرت الزكاة والصدقة والجزية وكيفية تقسيمهما. حيث روي عن سيدنا علي ابن أبي طالب قصة جميلة في تقسيم جمال بين أصحابها تنم عن قدرة علي كرم الله وجهه الرياضية العجيبة، والقصة وردت في كتاب اسمه:"مشكلات العلوم" ،لمحمد مهدي النراقي. حيث تقول القصة:" أنه : جاء إلى علي - عليه السلام - ثلاثةُ رجال يختصمون في سبعة عشر بعيراً . أولهم

يدعي نصفها ، وثانيهم ثلثها ، وثالثهم تُسعها ، فاحتاروا في قسمتها لأن في ذلك سيكون كسر (أي جزء من بعير) . فقال علي – عليه السلام - : " أترضون أن أضع بعيراً مني فوقها وأقسمها بينكم ؟ ". قالوا : نعم.

فوضع - عليه السلام - بعيراً بين الجِمال ، فصارت ثمانية عشر ، فأعطى الأول نصفها وهي تسعة ، وأعطى الثاني ثلثها وهي ستة ، وأعطى الثالث تسعها وهو اثنان ، فأصبح المجموع (9 + 6 + 2 = 17) ثم أرجع البعير الذي أضافه إلى بيته".

وعلي كرم الله وجهه كما يدعي الشيعة أن له كتاب كتب في جلد ثور. يضم علما اسمه علم الجفر ،الذي يذكر فيه الكثير من الأرقام، التي يقال أن لها علاقة بظهور المهدي المنتظر، وأنها تكشف عن الغيب المستقبلي الذي سيأتي على

الأمة، مما يجعلنا نتسأل عن علاقة علي ابن أبي طالب بالرياضيات والأرقام التي جعلته يورث أتباعه علما يستند على الأرقام والرياضيات.

علما أن كثير من العلوم الغيبية والماورائية تستند على علم الرياضيات والأرقام، ومنها العلوم التي ضمها الغزالي في كتابه فضائح الباطنية ،لكن الغريب أن الغزالي عاد فآمن بها في آخر علمه، والدليل كتب الأوفاق والعلوم الروحانية التي أشتهر بها قبل موته من كتاب:"الأوفاق للغزالي" وكتاب :"مثلث الغزالي". التي تستند على علوم الأرقام والحرف وعلوم الهندسة. مما يجعلنا نتسأل، هل كان إحتراز الغزالي من هذه العلوم في بدايته، خوفا على الأمة منها؟وما الذي جعل الغزالي يكتب عنها وخاصة في الأمور الروحانية! وما هو السر الذي يملكه الرياضيات وعلم الأرقام تجعل منه علم روحاني يتواصل به الخاصة مع الروحانيات ويجعلهم يرون الغيبيات

في علوم الكشف والمكاشفة؟وهل قوة الأرقام تكمن في النطق بها فقط؟ أم في كتابتها وفق منهج معين ونمط مميز؟

حقيقة، ما جعلني أكتب في هذا المقال، هو كثرة وجود الأرقام في حياتنا المعاصرة، وكثرة تعامل الناس معها حاليا، فمن أعداد المشاهدات في مواقع التواصل، إلى أعداد المشاركات والإعجابات. مما يجعل الشخص يتعرض ويصادف الأرقام هذه يوميا، مما حدا بالجهات المسيطرة إلى بث هذه العلوم في أوساط الناس، من علوم الطاقة والجذب وعلم الرسائل المخفية في الأرقام ،لدرجة وضعهم لكل رقم دلالة ومغزى كما فعل الباطنية في كتبهم سابقا. وأثر هذه العلوم واضح جلي مما جعل الناس تظن أن من يكثر من علوم الحساب والهندسة، أنه مجنون أو ملبوس أو ممسوس. وهذا السبب أظهر تزايد كبير في الأمراض النفسية والعقلية لدى الناس

وعامتهم. بسبب كثرة التعرض لهذه الأرقام، وكثرة الحسابات التي يجريها الشخص يوميا التي تجعله يحفز الجزء الأيسر من دماغه كثيرا، الذي نظن حسب ما قرأنا أنه يسيطر عليه أبليس وأعوانه، ما لم يكن الإنسان محصنا وقوي إيمان كعلي كرم الله وجهه أو حجة الإسلام الغزالي.

بين الصمت الرقمي والإكتئاب النفسي

خلق الله الإنسان خلق متكامل، وجعله في أحسن تقويم، فخلق له السمع والبصر والفؤاد ،والقدم واليد، والفم واللسان. وكل خلق خلقه الله، وكل حاسة، لها أهميتها، بحيث لو قل استخدامها أو تهاون الشخص في تنميتها فإنها تذبل وتضعف وتموت مع مرور الوقت ،وهذا قانون متعارف عليه في علم النفس.

ومن أهم الأعضاء التي وهبها الله للإنسان، هو عضو اللسان ،ومهارة النطق والكلام وإخراج الصوت ،فهو ليس مهم فقط للتواصل بين البشر، بل مهم أيضا لإخراج مكنونات الشخص ،والتعبير عن حزنه وهمه وضيقه وغضبه ،فالصوت ترددات ،وآهات ،وتأوهات ،ولو تلاحظ أنك حينما تنطق وتتكلم ،فإنك إما تسحب هواء لداخلك، أو أنك تلفظ هواء خارج رئيتك.

كنت قبل فترة أعاني من حالة ضيق شديدة، فأخبرت صديق عزيز ،فقال لي:أذكري الله. فتذكرت والمؤمن خلق نسي إذا ذُكر ذكر ،لذلك حاولت أن أردد لا إله إلا الله ،وأمد بها الصوت ،فلاحظت أن الكلام يخرج علي هيئة تأوه وأنين ،لذلك قال الرسول ووصى بمد الصوت بلا إله إلا الله ،كما أنني حاولت أن استغفر، فلاحظت أن الهواء يخرج من رئتي ويخرج الضيق معه. فالصوت موجات وترددات ،كلما خرجت أخرجت الغضب والحزن والهم معها ،وخاصة لو كان الكلام ذكرا. لذلك لو تلاحظ، لماذا أمر الله بترتيل القرآن والجهر به وليس فقط بنطقه سرا. ولماذا كان ثواب قراءة القرآن وأجره أكبر، ولماذا جعله الله شفاء لكل مرض.

صديقتي التي تبلغ من العمر 17 سنة ،جزائرية ،جاءت تشكي لي من كرهها الشديد وامتعاضها من أصوات البشر وصوتها، فلم أدري ما أجيب.

لكن بعد فترة فتحها الله علي ،وأدركت أن هذه الفتاة قارئة نهمة، وتقضي جل وقتها في القراءة الصامتة، وكل حديثها مع الناس رسائل نصية ومحادثات كتابية فقط في مواقع التواصل. وسبحان الله، كانت شكواها، بعد موجة الضيق التي مرت بي، وأدركت أن الصوت هو العلاج، لذلك نصحتها أن تبتعد وتقلل من الكتابية النصية في مواقع التواصل، وتبدأ بالحديث صوتا. فالصوت له دور كبير ،ليس في التواصل وحسب، بل في تفريغ شحنات الشخص،لذلك يقول بعض خبراء الباراسيكولوجي أن الساحرات النقاثات في العقد ،يلقين رقى وتمائم ،نطقا فقط ،فيحدث السحر، لذلك كان للصوت دور كبير عبر ترددداته القوية، في حمل طاقة الشخص والتأثير فيها ،حتى أن الصوت يؤثر ليس فقط على الناطق، بل على المنطوق له. وهذا دور الرقية الشرعية. ومن أراد الاستزادة فما عليه إلا

أن يقرأ كتاب الرسائل الخفية في الماء لماسرو إيماتو، الذي يوضح قدرة الصوت الرهيبة في التأثير على جزئيات الماء وترتيبها. فلا عجب أن يكون للصوت تأثير على الناطق أيضا.

الصوت واللسان هبة وهبها الله لنا، فإذا فقدناها، بقتل الوقت في الأحاديث الكتابية المطولة ،فهذا سيجعلنا نكتم مشاعرنا ولا نفرغها بالصورة الصحيحة. مما يؤدي لتراكمها وتصبح بعد ذلك إكتئابا. لذلك فإن أغلب الكتاب والأدباء، مرضى بالإكتئاب، وكذلك كثيري القراءة.والحل الأمثل هو الموازنة إن أمكن، مع عدم التهاون في الحديث الشفهي.

لقد خلق الله الصوت لنا لا لنتكلم فقط، بل لنتحرر. الصوت ليس مجرد موجات، بل هو طاقة، ونافذة للداخل، ورسالة من الروح إلى الخارج. وحين نهجر هذه النعمة، تختنق النفس، ويضطرب

العقل، وتظهر الأمراض النفسية التي لا دواء لها في صيدليات العصر.

في زمن امتلأ بالكتابة وافتقر إلى الحديث، صار الصمت عادة، والعزلة اختيارًا، والنفس تئن بلا صوت.

لكن ربما الحل كان أقرب مما نظن، في أن نعود إلى أنفسنا... وننطق. فلنُعيد للصوت حضوره، فقد يكون هو الدواء المهجور الذي طال غيابه.

قراءة بلا حدود:دوامة الفصام

أدرس حاليا علم النفس مذ خمسة أشهر، وحقيقة شدتني معلومة ذكرتها الدكتورة ياسمين أحمد في أحد محاضراتها عن الاضطرابات النفسية، ذكرت نصا أن الطفل الذي يحشى دماغه بمعلومات فوق سنه، ويتجاوز مرحلته العمرية ،هذا أكثر عرضة للإصابة بالفصام. هذه المعلومة تذكرتها وشدتني عندما لجأت إلي صديقتي المراهقة، تعرض علي كتب أقترحته لها أحد الأخوات، وتفاجأت أن من ضمن هذه الكتب كتابان، سبق أن تصفحتهما، ووجدت أنهما لا يناسباني وأنا في أواخر الثلاثينات، فكيف يناسبوا فتاة مراهقة في عمر الزهور.

طبعا نصيحتي لها كانت ،أن تترك قراءة الكتب الصعبة هذه، وتبدأ في هذه المرحلة العمرية بقراءة الكتب التي تناسب عمرها وسنها وقدراتها ،وأخبرتها ،نصا أن من يضغط على نفسه في

قراءة كتب فوق مستواه، هذا يحرض دماغه على الإصابة بالفصام والإكتئاب. لكن تفاجأت عندما سألتني ،كيف لقراءة كتاب لا يناسب سني وقدراتي أن يصيبني بالفصام ؟!

قلت لها، الدماغ من سن الولادة إلى سن الرشد، يكون في هذه المرحلة يتشكل حسب الجينات أو ظروف البيئة، وكلما مارس الشخص، أمور خارج حدود قدرته وخاصة قراءة كتب فوق مستواه، سيلاحظ أن الكتب في عالم آخر غير الذي يعيشه ،ولن يستطيع استيعاب ما به، لأن حدود خبرته وتجاربه في الحياة ،لا تزال محدودة، مما يجعله يشكل فكرة عن الحياة الواقعية، فكرة وهمية، تختلف عن الحياة الواقعية، وهذا ما يجعله ينفصم عن الواقع، ويهيم في عالم آخر غير واقعه. كما أن الضغط على الدماغ لفهم كلام ليس في مستوى الشخص، وخاصة إذا تكررت هذه القراءات، تجعل الدماغ يشكل دوائر

كهربائية مختلفة وجديدة، تنشط كلما زادت القراءة خارج حدود القدرة والطاقة، مما يسبب في زيادة الشحنات الكهربائية في الدماغ والتسبب بالأمراض النفسية.

عموما، وأنا أحدثها عن كل هذا، ذكرت لي أنها كانت تقرأ كتاب صعب قبل فترة، وحدث معها ألم شديد في الدماغ ثم أجهشت بالبكاء. وجعلني هذا أتذكر معلومة شاعت عن كتاب الغزالي ،الذي يقال أن من يقرأه يجن ويصابه الخبل ،وحقيقة الأمر أن كتاب الغزالي برئ من هذه التهمة، والعيب فقط في أن حدود عقل الشخص القارئ ،لا زالت طرية لا تستوعب ما كتب فيه. لذلك يصاب الدماغ بالفصام والمرض النفسي بعدما يمرض ويصيبه الإرهاق الفكري.

لذلك نصيحتي للمراهقين والقراء بشكل عام، عند اختيار الكتاب المناسب للقراءة ،أن لا يشرع في

القراءة مباشرة، بل يتصفح الكتاب أولا، ويرى هل يناسب ميوله ومستواه ،وهل يستطيع مواصلة قراءته ،فبعض الكتاب نلاحظ من خلال كتاباتهم أن هدفهم استعراضي وفرد عضلات فقط ،وليس هدف معرفي ،لأني أؤمن أن الكاتب العظيم هو من يستطيع قول معاني صعبة بأسهل طرق وأيسر شرح ،أما من يتعنتر في كتاباته ويستعرض مصطلحاته وألفاظه ،فهذا لم يفهم ما يقول ولا يدري كيف يوصله.لذلك فالبعد عن كتاباته أسلم وأفضل.

حينما يكتم الرجل دموعه

الإكتئاب هو مرض العصر ،الذي يعاني منه حوالي 300 مليون شخص حول العالم تقريبا. المرض الذي يعتبر مرض المشاهير، فلم يسلم منه لا العباقرة ولا السياسيين ولا الناس العاديين.المرض الذي أطلق عليه رئيس وزراء بريطانيا الراحل ونستون تشرشل بالكلب الأسود ،والذي تسبب في موت الكثير من المبدعين والفنانيين حول العالم ،وبسبب ما يعاني منه الشخص من ألم شديد ،وفقدان الألم ،والعزلة الصامتة، والنظرة السوداوية للأمور ،قد يؤدى كثيرا للإنتحار. وهذه النهاية المأساوية يكون عرضة لها الرجال، أكثر من النساء. لأن الرجل يكتم مشاعره كثيرا ،ولا يطلب المساعدة، ويعتبر البكاء وتفريغ المشاعر والرغبة في الصراخ في حق الرجل عيب ووصمة عار ،وخاصة لو رافقه كثرة التشكي ،فالرجل حسب أعرافنا وتقاليدنا،لا

يعبر عن مشاعره، ولا يبكي، ويخجل من طلب المساعدة بالمقارنة مع المرأة ،التي لا تخجل من طلب المساعدة، ولأن أمر الرجل بيده، وأمر المرأة بيد ولي أمرها، فالمرأة متى أحس أهلها بتغيرها ،أخذوها فورا للطبيب دون حتى أذنها،وذلك لما فيه مصلحتها، في حين أن الرجل هو المسؤول عن نفسه ،ويخجل من طلب المساعدة، خاصة في موضوع الألم النفسي، الذي يصعب على الكثيرين تفهمه والشعور به ،كونه قد يكون غير مرئي وغير واضح وملموس .

في محاضرة لدبلوم علم النفس في جامعة نوتنج هيل ببريطانيا، طرحت الدكتورة سؤال جميل، جعلني أفكر كثيرا، وهو من الذي يعتبر أكثر عرضة للإكتئاب ،المرأة أم الرجل؟ !

طبعا ،بحثت كثير بعد شرح الدكتورة ياسمين ،لأعرف الكثير عن الموضوع، ووجدت فعلا أن

المرأة أكثر عرضة من الرجل، وذلك لأسباب كثيرة سندرجها هنا بالتفصيل :أولها بسبب التغيرات الهرمونية التي تتعرض لها المرأة أكثر من الرجل، فهي تلد وتحيض وتدخل سن اليأس ،حيث أن التغيرات الهرمونية تلعب دورا كبير في هذا الموضوع، وخاصة عندما تجد المرأة نفسها وقد أصبحت فجأة مسؤولة عن طفل وبيت وأسرة ،ولها مكانتها في المجتمع. ومن الأسباب الأخرى التي تجعل المرأة أكثر عرضة للإكتئاب من الرجل، هو بسبب غلبة عاطفتها عليها أكثر من الرجل، مما يجعلها تميل للجؤ للحيل العاطفية التى تؤثر كثيرا في نفسيتها، من التضخيم، والمبالغة ،والتركيز على مشاعرها كثيرا، كما أن المرأة كما ذكرنا سابقا، لا تخجل من طلب المساعدة من المختصين، لذلك يتم تشخيص حالتها أكثر من الرجل،الذي يمنعه كبرياؤه وخجله وعزة نفسه من

طلب المساعدة، ومشاركة همومه مع الأطباء والمختصيين .

لذلك معرفة كل ذلك، يجعلنا نسرع في تدارك الوضع بوضع الحلول له. وهي للرجل برفع وصمة العار عن هذا المرض، وتشجيع الشباب على التعبير عن مشاعرهم بصورة آمنة وموثوقة مع المختصين والأطباء، أما بالنسبة للنساء، فالواجب إحتوائهن من قبل الأهل والمجتمع ،وتفهم أحتياجاتهن ،والمشاركة في التخفيف من أعبائهن ومسؤولياتهن. وفي النهاية، لابد أن يدرك المجتمع أن الإكتئاب مرض، يصيب المبدعين وأصحاب المهن التي تتطلب الكثير من الجهد والضغط. وهو قد أصاب غيرهم الكثيرين ،من مبدعين وكتاب وشعراء وعباقرة من ديستوفسكي إلى أرنست هامنجوي إلى الأميرة ديانا ونيوتن أيضا، حيث أنه كثيرا ما كان يسمعون صوت بكاؤه وهو منعزل في مكتبه ،رغم كل هذا الألم،

تولدت العبقرية من رحمه، وهذا ما كان يؤمن به كبار الكتاب والفلاسفة.

يومان بلا تواصل , جنون أم نجاة؟

في زمن تتسارع فيه خطوات التكنولوجيا، لم تعد العطلات مساحة للراحة واللقاء العائلي، بل تحولت إلى لحظات صامتة يغرق فيها الجميع في شاشاتهم، وكأنهم يعيشون حياة أخرى، لا تمت بصلة للواقع الذي يجمعهم تحت سقف واحد. ولعل هذا الواقع المؤلم يفتح الباب لسؤال جريء: لماذا لا يتم إغلاق مواقع التواصل الاجتماعي في أيام العطلة في سلطنة عُمان؟

الفكرة قد تبدو صادمة للبعض، لكنها ضرورية اليوم أكثر من أي وقت مضى. فقد أضحى العالم الافتراضي يأكل من أرواحنا بهدوء، ويقتطع من لحظاتنا الحقيقية دون أن نشعر. ففي حين كانت أيام العطلة مناسَبة للتواصل العائلي، وتبادل الأحاديث، وزيارة الأقارب، أصبحت الآن مناسبة للعزلة الرقمية، حيث يجلس كل فرد في ركنه، يتابع مقاطع الفيديو، أو ينشر الصور، أو يتصفح

آخر الأخبار، بينما الروابط العاطفية تتآكل بصمت.

تشير دراسات متعددة إلى أن الاستخدام المفرط لوسائل التواصل، خصوصًا في أوقات الراحة، يؤدي إلى تراجع ملحوظ في الصحة النفسية، مثل زيادة معدلات القلق والاكتئاب، والشعور بالوحدة، رغم الزخم الظاهري في "عدد المتابعين". فالشخص الذي يقضي عطلاته غارقًا في العالم الافتراضي، يُحرم من دفء العائلة، ومن الراحة النفسية التي توفرها اللقاءات الحقيقية.

المجتمع العُماني يتميز بتقاليده الأصيلة التي تعلي من قيمة العائلة والترابط الاجتماعي. ولكن استمرار الابتعاد عن اللقاءات الواقعية، سيؤدي تدريجيًا إلى تفكك النسيج الاجتماعي، خصوصًا في ظل نشوء جيل لا يعرف معنى "السبلة" ولا يقدّر دفء المجالس العائلية. وقد يكون إغلاق

مواقع التواصل يومي الجمعة والسبت - أيام العطلة الرسمية - خطوة رمزية قوية تعيد التوازن لعلاقاتنا، وتمنح الناس فرصة للتنفس اجتماعيًا.

المقترح لا يهدف إلى فرض القيود بقدر ما يدعو إلى وقفة مع الذات. هل نمتلك شجاعة التوقف عن هذا الإدمان الرقمي؟ وهل بإمكاننا أن نعيد لأيام العطلة معناها الحقيقي؟ ربما حان الوقت لتجربة جريئة تعيد الدفء إلى بيوتنا، وتقرب المسافات بين قلوبنا.

فليكن يوما العطلة موعدًا للعودة إلى الإنسان الحقيقي، للحديث وجهًا لوجه، للضحك الجماعي، ولأحاديث لا تنقطع بسبب إشعار جديد من "تيك توك" أو "إنستغرام". دعونا نُحيي العطلات، لا نُميت أرواحنا فيها.

فلنجرّب... فقط ليومين، أن نصمت رقميًا، ونتكلم إنسانيًا.

الوعي بأعراض الدواء , مسؤولية من؟

تُعد الأدوية من أهم الوسائل العلاجية المستخدمة في الطب الحديث، وقد ساهمت في إنقاذ وتحسين حياة الملايين حول العالم. إلا أن استخدام الدواء لا يخلو من التحديات، وعلى رأسها الأعراض الجانبية والانسحابية التي قد تؤثر على جودة حياة المريض، بل في بعض الحالات قد تُعرضه لمضاعفات خطيرة.

ما شدني لكتابة هذا المقال والإسهاب فيه. هو كومة الأدوية التي تصرف لكبار السن في عائلتي، دون حسيب أو رقيب، ودون أدنى توعية للمرضى الأعراض الجانبية لهذه الأدوية أو الأعراض الإنسحابية وكثير ما عانى مرضى نعرفهم جيدا، من تفاقم أمراض لم تكن لديهم فور تناولهم لدواء معين ،مما جعلهم يهيمون في مستشفيات عمان، من مستشفى لمستشفى، دون معرفة سبب المشكلة ودون أن يتجرأ طبيب واحد

بسؤال المريض عن الأدوية التي يستخدمها حتى يعرف أن كان السبب هو الدواء المستخدم سابقا أو مشكلة عضوية أخرى .

تعاني مستشفياتنا كثيرا من هذه الأمور، حيث يجهل الطبيب المختص وقد عمل فوق الخمس سنوات. يجهل الكثير من الأعراض الجانبية للدواء، ولا يهمه غير صرف الدواء للمريض بغض النظر عن الأعراض التي قد يسببها وقد تربك حياة المريض وتزيدها صعوبة وعسر .

وقبل أن نبدأ، لابد من معرفة ماذا تعني الأعراض الجانبية والأعراض الانسحابية للدواء. فالأعراض الجانبية هي تأثيرات غير مرغوبة تحدث أثناء تناول الدواء، وتختلف شدتها حسب نوع الدواء، وجرعته، واستجابة جسم المريض.في حين أن

الأعراض الانسحابية: هي التفاعلات التي تحدث في الجسم عند التوقف المفاجئ عن تناول دواء اعتاد عليه الجسم، وقد تظهر على شكل أعراض جسدية أو نفسية.

ومن الأمثلة على الأعراض الجانبية مثلا، الأدوية التي يشاع استخدامها بكثرة وهي المسكنات ،الأفيونية (مثل: الترامادول، المورفين(

فعلى الرغم من كثرة استخدامها، إلا أن الناس تجهل كثيرا أغلب أعراضها الجانبية التي قد تتضمن: إمساك، غثيان، ضعف تنفسي، الاعتماد الجسدي. أو أعراضها الانسحابية التي قد تكون : قلق، ألم عضلي، أرق، تعرق غزير، تسارع نبضات القلب.

كثير من المرضى يبدأون العلاج دون معرفة كافية بهذه الجوانب، مما قد يؤدي إلى سوء استخدام الدواء أو التوقف المفاجئ عنه، وبالتالي

حدوث مشاكل كان بالإمكان تفاديها بالتثقيف المسبق.ولذلك يظهر السؤال المهم هنا:الوعي بهذه الأعراض مسؤولية من؟الطبيب أم المريض؟وهل يحق للمريض تقرير مصير تناوله للأدوية؟أو التوقف عنها؟

لذلك لابد من توعية المرضى بعدما استخدام أي دواء ،حتى يعرفون من الطبيب المختص كل أعراضه الجانبية والانسحابية ،وذلك لضمان سلامة المريض وصحته. فكم سوء استخدام لدواء معين سبب في ظهور أمراض وعواقب كثيرة لا تحمد عقباها، وكان بالإمكان تجنبها لو سأل الشخص المريض عنها قبل البدء في تناولها .

يُعتبر اطلاع الطبيب المريض على الأعراض المحتملة جزءًا أساسيًا من الرعاية الطبية الآمنة. ذلك يمنح المريض فرصة اتخاذ قرار واعٍ ومدروس بناءً على معرفة كاملة، كما يساعده على مراقبة حالته بشكل أفضل والاستعداد

للتعامل مع أي مضاعفات. وفي المقابل، من حق المريض أن يسأل عن هذه التفاصيل، ويطلب خطة واضحة للتدرج في الإيقاف إذا كان الدواء يُسبب اعتمادًا جسديًا أو نفسيًا.

يجب التأكيد على أن العلاقة بين الطبيب والمريض ليست علاقة أوامر وتعليمات فقط، بل هي شراكة قائمة على الاحترام المتبادل والتفاهم. قرار استخدام أو إيقاف أي دواء يجب أن يتم بالتوافق بين الطرفين، بناءً على التقييم السريري والمعطيات الشخصية لكل مريض. ومن حق المريض رفض أو طلب بدائل، إذا كانت الأعراض الجانبية لا تُحتمل أو تؤثر على نمط حياته.

إن معرفة الأعراض الجانبية والانسحابية للأدوية ليست ترفًا، بل ضرورة طبية وأخلاقية لضمان الاستخدام الآمن للعلاجات. والطبيب مسؤول عن

توضيح هذه المعلومات بصدق ووضوح، في حين يقع على عاتق المريض مسؤولية السؤال، المتابعة، والقرار الواعي. بهذا التعاون، تتحقق أفضل النتائج العلاجية بأقل قدر من المعاناة والمضاعفات.

هل أصبح العلم ستارا للشعوذة؟

لطالما كانت الشعوذة جزءًا غامضًا من التراث البشري، تعيش في الظلال، تتنقل بين الأساطير والمعتقدات، وتُمارس بصمت وخفاء. في المجتمعات القديمة، كانت الشعوذة تُنقل شفهيًا بين قلة من الأشخاص، تُغلفها الأسرار وتُحيط بها رهبة غيبية. من يمارسها كان يُنظر إليه كمن يملك مفاتيح الغيب أو قوى لا يفسرها العقل، وكان يُخشى أو يُبجل بحسب النتيجة. أما أدواتها فكانت بسيطة، لكنها محملة بدلالات رمزية عميقة، وتُنفذ تحت ستار من الطقوس المرتبطة بالخيمياء، ذلك العلم الغامض الذي جمع بين الفلسفة والكيمياء والروحانيات.

لكن ما الذي تغيّر اليوم؟

في عصر التكنولوجيا والانفجار المعلوماتي، لم تعد الشعوذة كما كانت. لم تعد خفية، ولا مقتصرة

على شيوخ الزوايا ولا حُجّاب الكتاتيب، بل أصبحت تنتشر كالنار في الهشيم عبر مواقع التواصل، ومقاطع الفيديو، و"العلاجات الروحية" المعلبة بعبارات "طاقية" أو "علمية". ما كان يُمارس في الماضي بدعوى "الخيمياء" أصبح اليوم يلبس رداء "الكيمياء"، لكن الجوهر قد لا يكون بعيدًا كثيرًا.

في الماضي، كانت أعراض السحر تُروى بأنها كوابيس، صداع دائم، نكد في الحياة، أمراض لا تُفسر طبيًا. واليوم، ورغم التقدم العلمي، نشهد أن كثيرًا من تلك الأعراض ما زالت قائمة، ولكنها ترتبط بمواد كيميائية تسرّبت إلى غذائنا وشرابنا وحتى مستحضراتنا اليومية. ألا يمكن إذًا أن تُفتعل أعراض السرطان، أو الاضطرابات النفسية، أو العقم، عبر هذه المواد؟ أليس هذا شكلاً جديدًا من أشكال الإيذاء السري، لكن بأدوات علمية بدلاً من الطلاسم. حيث أثبت العلم

الحديث أن هناك الكثير من المواد الكيميائية التي قد تسبب العقم والسرطانات، وكان سببها خيمياء السحر قديما تحت مسمى السحر المأكول والمشروب ،لكن العلم أدخلها تحت مسمى الكيمياء كعلم إلى شرابنا ومأكولاتنا كأغذية وأدوية وعلاجات ومستحضرات. وتهافت الناس عليها بدعوى أنها من الكماليات الضرورية .

ما كان في الماضي يُنسب إلى علم "الباراسيكولوجي" والماورائيات — من قراءة الأفكار والتأثير على النفس عن بُعد — بدأ اليوم يدخل من بوابة العلم عبر تقنيات قراءة الدماغ، والخوارزميات التي تحلل السلوك والتوجهات، بل وتُستَخدم لتوجيه القرار أو التأثير على الرأي من دون وعي الشخص. والسؤال الجوهري هنا: هل هذه أدوات علمية بريئة؟ أم هل هي تطور حديث لأساليب قديمة هدفها التأثير في الإنسان، لكن بمصطلحات ومظاهر أكثر قبولًا؟

الدين لطالما حذّر من الشعوذة والسحر، واعتبرها من الكبائر التي تفسد العقيدة وتُدمّر المجتمعات. وفي المقابل، لا يرفض الدين العلم، بل يحث على طلبه وتطويره. لكن المعضلة تبدأ عندما يُستخدم العلم لتبرير نفس الأفعال التي كان الدين يُحذر منها. فحين تتحول أدوات العلم إلى وسائل للسيطرة والتلاعب، وتُستخدم لفعل الشر باسم "التكنولوجيا"، حينها لا نكون قد قضينا على الشعوذة، بل فقط قمنا بتغليفها بلباس جديد.

وفي الختام بإمكاننا القول: وعي الإنسان هو الخط الفاصل

بين الماضي والحاضر، وبين الشعوذة والعلم، تبقى النقطة الجوهرية هي النية والمعرفة والهدف. هل يُستخدم العلم لشفاء الناس أم لإخضاعهم؟ هل نُحذر من السموم الخفية في طعامنا، أم نغض البصر باسم التطور؟ وهل نُسلّم عقولنا وتقنياتنا لجهات لا نعرف غاياتها؟ كل ذلك

يجعل من الضروري أن يتحلى الإنسان بالوعي، وأن يبقى الدين والعقل مرجعية أخلاقية تُميز بين التقدم الحقيقي وبين الشعوذة التي غيّرت مظهرها، لكنها لم تغير جوهرها.

ردا على رئيس منظومة إجادة

منظومة "إجادة" لتقييم أداء الموظفين في سلطنة عُمان شكّلت تحولًا جذريًا في آليات العمل الحكومي، حيث تهدف إلى رفع كفاءة الأداء وتعزيز الإنتاجية من خلال معايير دقيقة ومقنّنة لتقييم الموظفين. ومع انطلاق المنظومة، انقسمت آراء المجتمع العُماني بين مؤيد يرى فيها خطوة ضرورية نحو التحديث والإصلاح الإداري، ورافض يعتبر أن التطبيق جاء في توقيت حرج وبأسلوب قد يفتقر إلى العدالة والواقعية، خاصة في ظل التحديات الاقتصادية وقلة فرص العمل التي تعيشها السلطنة.

وقد ازدادت حدة الجدل بعد التصريحات المثيرة للجدل التي أدلى بها رئيس منظومة إجادة، والتي اعتبرها كثيرون مستفزّة ومتناقضة مع مشاعر الموظفين والباحثين عن عمل، مما زاد من حالة الغليان الشعبي وأدخل المجتمع في حالة من "السخونة" الحادة، حيث تصاعدت النقاشات في

وسائل التواصل الاجتماعي وأروقة العمل، بين من يرى أن الإصلاح لا بد أن يكون حازمًا، ومن يشعر بأن تحميل الموظف الفردي عبء الأداء في ظل منظومة تعاني من نقص الموارد والفرص هو أمر غير منصف.

ولرئيس منطومة إجادة تصاريح كثيرة مثيرة وقد أثار التصريح الذي هدد فيه بطرد الموظف بعد حصوله على تقييم ضعيف مرتين، الكثير من الجدل والتساؤلات، ليس فقط حول آلية التقييم، بل حول مفهوم العدالة الوظيفية ذاته. فهل يُعقل أن يُختزل مصير موظف – ربما قضى سنوات في خدمة المؤسسة – إلى تقييمين سلبيين؟ وماذا لو كان المدير نفسه هو السبب في هذا الضعف؟ من يحمي الموظف في هذه الحالة؟ ومن يُقرر من المخطئ ومن المصيب؟

إن هذا النوع من التصريحات يكشف عن خلل في منظومة التقييم بأكملها. فالافتراض المسبق أن الموظف هو دائمًا الطرف المقصّر فيه ظلم كبير وتجاهل لاحتمالية أن يكون المدير نفسه غير

عادل أو يفتقر للكفاءة القيادية أو حتى يحمل موقفًا شخصيًا تجاه موظفه. فماذا لو كان المدير هو من يُطفئ الحماس ويكبت الإبداع؟ من يأخذ حق الموظف في هذه الحالة؟ أين صوت العدالة في معادلة منحازة بهذا الشكل؟

من هنا، أرى أنه حان الوقت لإعادة النظر في آلية التقييم داخل المؤسسات. لماذا لا يكون للموظفين هم أيضًا الحق في تقييم مديريهم؟ أليست العلاقة المهنية علاقة تفاعلية بين طرفين؟ من حق الموظف أن يُعبّر عن رأيه في المدير، لا أن يُكمم صوته بحجة الهيبة أو التسلسل الإداري. حرية الرأي في بيئة العمل لا يجب أن تكون انتقائية أو خاضعة لمزاج من هم في القمة.

أما بالنسبة لمصير الموظف الذي يحصل على تقييم ضعيف مرتين، فإن طرده مباشرة من المؤسسة هو إجراء متسرّع ويفتقر إلى العمق المهني والإنساني. لا بد من التدرّج في التعامل مع حالات التقييم المنخفض، عبر خطة تطوير

واضحة، تشمل نقل الموظف إلى مدير آخر أو إدارة مختلفة، فقد يكون التغيير في القيادة محفزًا له لإعادة إشعال شغفه وتحسين أدائه.

العدالة ليست في القسوة، بل في الفهم والإنصاف. ومنظومة "إجادة" إن أرادت أن تكون عادلة بحق، فعليها أن تفتح الباب للنقد البنّاء، وتستمع لصوت الموظف قبل أن تُصدر حكمًا نهائيًا على مستقبله.

عقل بلا ذاكرة : ضياع أم تطور؟

في زمنٍ مضى، لم تكن هناك مكتبات إلكترونية، ولا ملاحظات محفوظة على الهواتف، ولا ملفات رقمية تُستدعى بكبسة زر. كان العقل البشري هو الذاكرة، والصدر هو الخزانة. كان الناس يعيشون العلم حفظًا، لا تصفحًا. يتناقلون المعرفة شفهًا كما تتناقل الأنهار مياهها، ويورثونها كما يورثون الذهب.

كان العربي في العصر الجاهلي إذا سمع القصيدة مرة، حفظها من أولها إلى آخرها، وشهد التاريخ أن الرجال كانوا يتسابقون في حفظ الأشعار، والأخبار، والأنساب، والمفاخر، والمآثر. لم يكن ذلك ترفًا، بل ضرورة. فالذاكرة كانت أداة النجاة، وحفظ الهوية، وسلاح البقاء.وقد ساعدهم في ذلك صفاء سريرتهم ونقاء قريحتهم. وأميتهم الغارقة في البساطة .

ومن عجائب ما رُوي في هذا الباب، قصة الأصمعي مع الخليفة أبي جعفر المنصور، الذي كان يحفظ كل قصيدة يسمعها، ويكررها بعد سماعها مرة واحدة، ومعه جارية وعبد يُتقنان الحفظ مثله. فكان كل شاعر يأتي بقصيدته، فيُعاد تكرارها ثلاث مرات، فيُظن أنها مسروقة، فلا يُكافأ.

حتى جاء الأصمعي متنكرًا، ونظم قصيدته المعروفة: "صوت صفير البلبل"، بمفردات غريبة ومعانٍ معقدة. فقرأها فلم يحفظها الخليفة ولا أعوانه. كانت هذه الحيلة اختبارًا لذاكرة من اشتهر بالحفظ، لكنها أظهرت كذلك كم كان التحدي قائمًا على أساس الذاكرة الخالصة، لا الورق ولا التسجيل.

وفي مجال الدين، حُفظ القرآن في الصدور قبل أن يُجمع في المصاحف. قال الله تعالى: "بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم". كان الأطفال في سن السابعة قد أتموا حفظه،ومثالنا لا نأخذه من بعيد. فهذا هو شيخنا الخليلي حفظه الله وقد أتم حفظ القرآن كاملا وهو ابن تسع سنوات، وكان الحفظاء يسافرون من بلد إلى بلد يطلبون الحديث الواحد، ويحفظون السند والمتن وكأنهم ينقشونه على صخر.وهذا هو البخاري الذي قال عنه حاشد بن إسماعيل فيما رواه، أنه كان يحفظ ما يزيد عن خمسة عشر ألف حديثا. وغيرهم الكثيرون من الشافعي والسيوطي وأبي هريرة وغيرهم. الذين كانوا آية في الحفظ والفهم .

لكن إذا نظرنا اليوم إلى شبابنا، وأطفالنا، نجد فرقًا هائلًا. بات من النادر أن تجد شابًا يحفظ جزءًا من القرآن، أو طفلاً يتقن قصيدة أو حديثًا. أصبحت الذاكرة هشة، مرهقة، لا تقوى على

حمل المعلومة إلا وقتًا يسيرًا قبل أن تتبخر كالدخان.

والسؤال: ما الذي تغير؟

لماذا لم تعد عقولنا كما كانت؟ ولماذا ضاع الحفظ، وتراجع التلقي، وتقلصت قدرة التركيز والربط والاستذكار؟

الإجابة عن هذا السؤال عسيرة، ولا نملك فيها اليقين، ولكن من باب العصف الذهني، لا أكثر، أطرح في هذا المقال ثلاث فرضيات مثيرة للتأمل:

السبب الأول: اللقاحات الحديثة.. عدو خفي؟

منذ ولادة الطفل في هذا العصر، يتلقى عشرات اللقاحات خلال سنواته الأولى. ولا تزال

الدراسات تتوسع في بحث آثارها الجانبية. بعضها تحدث عن علاقة محتملة بين بعض اللقاحات والتوحد، وأخرى لمحت إلى تغيرات في النمو العصبي والسلوكي.

لكن، هل يُعقل أن يكون لهذه اللقاحات –ولو جزئيًا– دور في تراجع القدرات الذهنية أو الذاكرة؟

لا يوجد دليل علمي قاطع بعد، لكن الفرضية تستحق أن تُطرح وتُناقش، لا سيما أن المقارنة بين أطفال الأمس واليوم في الأداء العقلي أصبحت شاسعة.

السبب الثاني: الطعام المعلّب وطبيعة اللسان

يقول الأطباء إن الدماغ يتغذى على الأوميغا 3، وهي متوفرة بكثافة في الأسماك.

وكانت أجيالنا السابقة تأكل السمك بانتظام، فطبيعتهم منسجمة مع الطبيعة، ألسنتهم تعرف الطعم الطبيعي، وأجسادهم تستجيب له.

أما اليوم، فالمطاعم الجاهزة والوجبات السريعة طغت على كل شيء، بتوابلها الصناعية، ونكهاتها الاصطناعية، فغدت ألسنة شبابنا تأنف من السمك، لأنه "بلا نكهة"، أي بلا إضافات.

فهل غيّر هذا نمط التغذية العصبية؟ وهل قلّت بذلك قدرة الدماغ على التذكر والتخزين؟ سؤال لا يملك العلم إجابة له حتى الآن، لكن التدهور ظاهر للعيان.

السبب الثالث: عصر التشتت.. وموت التركيز

لم يعد الهاتف أداة للاتصال، بل ساحة لا تنام من الصور والمقاطع والمنشورات، التي تغزو الذهن لحظة بلحظة.

أثبتت دراسات علمية متعددة أن كثرة التنقل بين المهام، وتعرض الدماغ لمحتوى قصير وسريع باستمرار، يُضعف من الذاكرة طويلة المدى، ويجعل التركيز مستحيلاً.

نحن أمام جيل يعيش في "زمن التشتت"، وعقول لا تُبقي المعلومة لأكثر من دقائق، ثم تطير.

حين يُرفع العلم.. ويمحى القرآن من الصدور

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء"، وفي حديث آخر جاء ذكر رفع القرآن من الصدور في آخر الزمان.

فهل نحن نعيش ملامح هذا المحو؟ هل يُرفع القرآن لا بنسيانه فقط، بل بعجز الذاكرة عن حفظه؟

إن كانت الذاكرة في الماضي تعيش في صدور الرجال، فإنها اليوم تُحتضر على أكتاف الأجهزة، في زمن أصبحت فيه المعرفة مرئية لا محفوظة، ومقروءة لا مرسخة.

فهل من عودة إلى الذاكرة الحية؟ أم أننا نودّع آخر العصور التي كانت تحفظ كتاب الله، وتعيش على نور الحديث، وتتغذى على حكمة الشعر؟

وإلى أين تمضي بنا هذه الرحلة؟

ذاكرة بلا عقل؟ أم عقل بلا ذاكرة؟

الزمن كفيل بالإجابة... إن لم ننسَ السؤال.

كيف نحمي شبابنا من الإنتحار؟

كنت أقرأ أحد روائع الكاتب والمفكر المغربي سعيد ناشيد، وتحديدًا كتابه العميق "نقد القوة"، حينما اصطدمت عيناي بعبارتين كان لهما أثر الصاعقة على مخيلتي:

"الحياة حرب"، و"الانسحاب من الحياة هو انسحاب من المعركة، وهذا ليس شجاعة، بل جبن وعجز عن المواجهة".

كم من مرة هربنا من مواقف أو استسلمنا لضغوط الحياة؟ كم مرة لبسنا ثوب الصمت أمام تنمرٍ جارح، أو تراجعنا خوفًا من مواجهة مجتمع أو سلطة دينية أو ضغوط اجتماعية ساحقة؟ هذه العبارات لم تكن مجرد كلمات على ورق، بل صفعة فكرية هزتني من الداخل، وكأنها تهمس لي ولغيري: "انهض... الحياة لا تنتظر الجبناء"!

وفي لحظة متزامنة، وبينما أنا مستغرق في هذا التأمل، تصادف أن أعلن حساب "إنستا عمان" عن مقترح تقديم التجنيد الإجباري لشباب عمان. لا أنكر أن قلبي قفز فرحًا.

نعم، فرحت!

فهذا القرار ـ إن تحقق ـ ليس مجرد تمرين بدني أو طابور صباحي، بل بوابة لتعليم الشجاعة.

الشجاعة التي نحتاجها في زمن طغت فيه الهشاشة على عقول شبابنا. الشجاعة التي تحميهم ليس فقط من ساحة حرب محتملة، بل من حروب يومية: الاكتئاب، الانتحار، الهروب إلى عوالم الشذوذ والأفكار الغريبة التي تتسلل إلى نفوس الجبناء والفارغين.

التجنيد الإجباري، إن أُحسن تنظيمه، سيكون مصنعًا للرجال الحقيقيين، ليس بالمعنى العضلي الضيق، بل بالمعنى الوجودي الأوسع: رجال

قادرون على اتخاذ القرار، على الوقوف في وجه الظلم، على حماية ذواتهم وأسرهم ومجتمعهم، على بناء أوطانهم بأكتاف مشدودة وقلوب ثابتة .

قد يبدو للبعض هذا القرار عادياً أو تقليدياً، لكنه في الحقيقة أكثر من ذلك بكثير. هو ليس مجرد برنامج تدريبي أو نظام تأديبي، بل هو ساحة لصقل النفس، وبناء العزيمة، وترميم الذات المبعثرة. إنه جدار حماية نفسي وروحي قبل أن يكون حماية عسكرية.

فحين يتساقط شبابنا ضحية الانتحار، أو يغرقون في ظلمات الاكتئاب، أو يهربون من معارك الحياة إلى مخدرات أو عزلة أو انحرافات فكرية وسلوكية، فإن هذا لا يعني سوى أمر واحد: هناك نقص فادح في أدوات المواجهة. التجنيد يأتي ليملأ هذا الفراغ.

في معسكرات التدريب، يتعلم الشاب أن الحياة ليست مفروشة بالورود، بل مفروشة بالصبر والتحمل والانضباط. يتعلم أن الألم جزء من الرحلة، وأن الفشل ليس نهاية، بل بداية جديدة بشروط أقوى. يخرج من وهم "الراحة المطلقة" إلى واقع التحدي والإنجاز. في التجنيد، لا يُسمح له بالانسحاب، بل يُدفع إلى أن ينهض ويكمل. تلك اللحظة التي يجبر فيها على النهوض، قد تكون هي نفسها اللحظة التي كانت ستنقذه من التفكير في الانتحار، لو مر بها في حياته المدنية لاحقًا.

ثم إننا حين نُدرب الشباب على المواجهة، فإننا نمنحهم سلاحًا أخلاقيًا ومعنويًا يرافقهم في كل ميدان: في العمل، في العلاقات، في الأزمات، في التجارة، وفي الانكسارات. الشجاعة التي تُزرع في التجنيد، تظل معهم مدى الحياة.

ولهذا، فإننا لا نبالغ حين نقول: التجنيد الإجباري قد يكون هو الحصن الأخير في وجه الانهيار الداخلي الذي يهدد هذا الجيل. ليس لأنه يجعلهم جنودًا، بل لأنه يجعلهم شجعانًا.

وهنا سؤال لم أستطع تجاهله، يطرق الباب بقوة:

إذا كان التجنيد الإجباري سيُعدُّ حزام الأمان لشبابنا الذكور، فماذا عن فتياتنا؟

من سيعلمهن الشجاعة؟ من سيحميهن من هشاشة الاختيارات، من الاستسلام للضغوط النفسية، من التلاشي أمام تيارات فكرية وعاطفية لا ترحم؟

ألسن هنّ أيضًا في قلب المعركة؟

ألا ينبغي أن يكون لهن نصيب في برامج تمكين نفسي وجسدي وفكري، تعلّمهن الوقوف، لا الاتكاء؟ المواجهة، لا الانسحاب؟

ربما لن يكون الحل هو التجنيد الإجباري للفتيات، لكنّ السؤال يظل مشروعًا، بل واجبًا:

كيف نزرع الشجاعة في بناتنا كما نزرعها في أبنائنا؟

ما بين كتابٍ يهزّ الفكر، وخبرٍ يفتح أبواب الحلم، تبقى الحقيقة أن الشجاعة ليست رفاهية، بل ضرورة وجودية. في زمن يُروّج فيه للهرب تحت أقنعة مختلفة، علينا أن نعيد تعريف معنى البطولة... ليس فقط في المعركة، بل في الحياة.

ولعل أول خطوة نحو البطولة، أن نختار المواجهة... لا الهروب.

لماذا كان القربان دائما دما؟

العيد يقترب.

أيام قليلة، وربما ساعات، تفصلنا عن طقسه الأكبر، لحظته التي يتداخل فيها الفرح بالتكبير، مع شيء أعمق لا نبوح به.

الأضحية لم تُذبح بعد. الكبش في الزريبة، يأكل بهدوء، وكأنه لا يعلم ما ينتظره.

لكن أنا... أنا من يعلم، أو يظن أنه يعلم، لست في سكينة تامة.

كل عام، أعبر هذا الموسم وأنا أكرّر ما علّمتنا إياه الشريعة: نشتري الأضحية، نُسمّي، نُكبّر، ثم نذبح، ونوزّع، ونفرح.

لكن في هذا العام، هناك سؤال لم يغادرني، يتردد كهمسٍ في داخلي، لا لأُشكّك، بل لأفهم:

لماذا القربان دائمًا دمٌ؟ ولماذا يكون دومًا من الكائنات الأليفة، الوديعة؟

من أين بدأ الدم؟

منذ أقدم العصور، ارتبطت فكرة "القربان" بسفك حياةٍ ما.

في الحضارات القديمة، كانت الدماء تُراق على مذابح الآلهة، وكانت الأضاحي تُختار بدقة، كأن الدم هو جسر التواصل مع الغيب.

ثم جاء الإسلام، وأعاد صياغة هذا الطقس.

لم يُلغِ الدم، بل أفرغه من وحشيته، وربطه بنيّة التقوى لا بالخوف من المجهول:

"لن ينال الله لحومها ولا دماؤها، ولكن يناله التقوى منكم".

فإن لم يكن الدم مطلوبًا لذاته، فلماذا بقي حاضنًا لروح الطقس؟

هل هو الوسيلة الأقوى لقياس صدق الطاعة؟

أم لأن الدم، دون سواه، يُشبه الحقيقة: لا يُزوّر، لا يتجمّل، ولا يُمنح إلا بثمن؟

سؤال آخر ينهض من قلب المشهد:

لماذا نُقرّب ما نألفه ونرعاه، لا ما نخشاه ونُعاديه؟

لماذا لا يكون القربان حيوانًا مفترسًا؟ لماذا لا نُذبح رمزيًا شيئًا يمثل الشر أو العدوان؟

لماذا يكون الكبش، أو الجدي، أو الناقة، هو القربان؟ كائنات وديعة، تُربّى في البيوت، تُطعَم من أيدينا؟

هل في ذلك درسٌ خفيّ في التجرّد؟

أن يكون القربان مما نحبّ ونأنس، لا مما نكره؟

أن نذبح ما تعلّقنا به، لا ما خفنا منه، كدلالة على صدق الفداء؟

أحيانًا أُمعن التفكير في رمزية الدم نفسه.

هل يُراق ليُذكّرنا بما لا يُعوَّض؟

هل هو تلميح ثقيل بأن الحياة ليست ملكًا لنا، بل وديعة؟

هل في لحظة الذبح تذكير رمزي، لا عنيف، بأن دم الإنسان أغلى، وأثمن، وأشد حرمة؟

أليس هذا المشهد، في قلب فرحة العيد، يحمل نداءً ضمنيًا:

"انظر هذا الدم، وكن على وعي أن دمًا مثله يُراق ظلمًا في غزة، في اليمن، في أماكن كثيرة... بلا فداء، بلا إنصاف، بلا تكبير".

هل في هذا الطقس تربية روحية: أن نُدرك أن الدم ليس تفصيلاً عادياً، بل جوهر الحياة؟

أن يُراق تحت "شرعة الطاعة" لله، ليُذكّرنا بأنّ غيره من الدماء يجب أن تُصان، لا أن تُستهان؟

في ظاهره، العيد احتفال.

لكن في عمقه، يحمل درسًا.

ليس كل فرحٍ مجرّد مرح، فبعض الأفراح تحتاج إلى وقفة وجدانية، تذكّرنا أن الطاعة قد تمر عبر الألم، وأن الفرح الحق لا يأتي إلا بعد عبور اختبار.

ولعل هذا ما يجعل من العيد مناسبة فريدة:

أن تبدأ بالصلاة، ثم الذبح، ثم التوزيع، ثم الفرح.

كأننا لا نفرح إلا بعد أن نُقدّم، ونُجاهد، ونُذكّر أنفسنا بمعاني أكبر من اللحم... وأثمن من الدم.

السؤال باقٍ... ومفتوح

لا أزعم أنني عرفتُ الإجابة.

لكنني أعلم أن لحظة الذبح، التي تقترب شيئًا فشيئًا، لن تمر هذا العام ككل عام.

سأذبح، نعم. لكنني سأذبح وأنا أحمل في قلبي هذا السؤال:

لماذا كان القربان دائمًا دمًا؟

ولماذا اختيرت له الكائنات الضعيفة، الأليفة؟

وهل في هذا الطقس البسيط، مرآةٌ تعكس شيئًا من حقيقة الإنسان وعلاقته بالخالق؟

لا أنتظر فتوى... بل أترك هذا المقال للقارئ الكريم، ليفكر، ويشعر، ويتأمل.

فلعل الإجابة، كما القربان، لا تأتي كاملة... بل تُمنَح لمن يبحث بصدق.

دمية لابوبو:بوابة إلى العالم الآخر(1)

في عالمٍ يغلي بالأحداث، وتزداد فيه علامات الاضطراب بين الحق والباطل، ظهرت على الساحة ظاهرة غريبة ومقلقة، تمثلت في انتشار دمية تُعرف باسم "لابوبو"، ملامحها تحمل البراءة والقلق في آنٍ واحد، وجهها الغريب يثير في النفوس شيئًا يصعب تفسيره، كأنك تحدق في ابتسامة تخفي سرًا مظلمًا خلفها، ليس فيها ما يطمئن، لكنها في ذات الوقت، تثير فضولًا غريبًا، وتجذب الناس كما لو كانت تحمل طاقة لا واعية تتسلل إلى النفوس دون إذن.في زمنٍ باتت فيه القيم الجمالية والأخلاقية مشوّهة، يظهر وجه آخر من تزيين الشيطان للناس، حيث يغلف القبح بغلافٍ من الجرأة أو "التميّز"، كما في ظاهرة دمية "لابوبو" القبيحة. هذه الدمية التي تحمل ملامح مشوّهة وأبعادًا غريبة، أصبحت فجأة رمزًا للتسلية أو الموضة لدى بعض النساء،

وكأنها تمثل جرعة من التمرد على المفاهيم التقليدية للجمال. إلا أن خلف هذه المظاهر الطريفة يختبئ وجه شيطاني يُزيّن السوء في صورة المقبول، ويدفع النفوس الضعيفة لتقبّل ما هو منفر ومُشوّه كنوع من "الاختلاف". إن هذا التقبّل الساذج لما هو شاذ وقبيح ليس سوى انعكاسٍ لملامح الخداع الشيطاني الذي يُلبس الباطل لبوس الحق، ويطمس البصيرة تحت وهم الحرية والتعبير.

ما يدعو للتساؤل هو الانتشار السريع والمذهل لهذه الدمية حول العالم، دون إعلان كبير، دون شركة تروّج لها بوضوح، وكأنها ظهرت من العدم، أو كأن جهة ما تود لها أن تصل إلى كل بيت، وكل غرفة، وكل طفل، وتُبنى حولها رمزية جديدة تخترق الوعي البشري من حيث لا يشعر. في ظل هذا الزمان، حيث تختلط الرموز بالفتن، وتتشوش البصيرة، يربط البعض هذا الانتشار

الغامض للدمية بحركة ما قبل ظهور الدجال، خاصةً أن الروايات الدينية تتحدث عن تهيئة عالمية لقبول الغريب والمشوه واللامنطقي، فهل يمكن أن تكون لابوبو رمزًا خفيًا في هذا السياق؟ وإذا تأملنا تاريخ الدمى حول العالم، سنجد أن بعضها لم يكن مجرد لعب أطفال، بل تحوّلت إلى أوعية لأرواح، وحالات مس مسجلة، وقصص حفظتها المتاحف لغرابتها ورعبها، مثل دمية "أنابيل" المحفوظة في أحد المتاحف الأمريكية للغيبيات، التي قيل إنها تحتوي على روح طفلة اسمها أنابيل ماتت عن عمر يناهز السبع سنوات ، وتحولت إلى لعنة تسكن داخل جسد الدمية، والتي ألهمت جزءًا من فيلم الرعب الشهير "الشعوذة"، وتُعرض اليوم داخل صندوق زجاجي محاط بالأدعية والتمائم الروحية، إذ أبلغ موظفو المتحف عن حالات غريبة، مثل تراجع صحة من يقترب منها أو يسمع صوت همسات ليلاً داخل

القاعة. وهناك أيضًا دمية "أوكيكو" اليابانية، المحفوظة في معبد بمدينة هوكايدو، ويؤمن السكان المحليون بأنها تحتوي على روح طفلة صغيرة ماتت قبل أوانها، ويُقال إن شعر الدمية ما زال ينمو بطريقة غير مفسّرة، ما اضطر الرهبان إلى قصّه دوريًا في طقس غريب مزيج من الخوف والاحترام، وكأنهم يخشون غضب الروح القابعة في هذا الجسم الصغير. ومع هذه السوابق المرعبة، يصبح السؤال مشروعًا: هل يمكن أن تتحول لابوبو إلى كيان مشابه؟ دمية تحمل طاقة غامضة، وربما تُستغل كوسيط روحي لقوى شريرة؟ خاصةً وأن الكثير من المستخدمين على الإنترنت بدأوا يتحدثون عن مواقف غريبة متعلقة بهذه الدمية، منها من رأى وجهها يتغير في الظلام، أو لاحظ تحركًا بسيطًا لها في غرفة مغلقة، وهناك من تحدث عن كوابيس متكررة تظهر فيها لابوبو وهي تحدق أو تهمس بكلمات

غير مفهومة. ومع تصاعد هذه الظاهرة، ظهرت مقاطع فيديو كثيرة على منصات مثل تيك توك وإنستغرام، تُظهر لابوبو في أوضاع غريبة، أو في بيئات موحشة، ويتحدث فيها أشخاص عن مشاعر غريبة بعد الاحتفاظ بها، كأنهم أصبحوا أكثر عرضة للكوابيس، أو أنهم شعروا بأن شيئًا في البيت لم يعد طبيعيًا. وفي الوقت ذاته، تبدو لابوبو مصممة بشكل يربك الوعي: عيون واسعة تفتقر للحياة، ابتسامة ثابتة لا تتغير، وجه طفولي لكنه مخيف، وكأنها خُلقت خصيصًا لتربك الدماغ البشري الذي يبحث تلقائيًا عن المشاعر في الوجوه. هذه الحالة الذهنية التي تضعك فيها لابوبو، هي ذاتها ما يبحث عنه المبرمجون وراء الخوارزميات التنويمية، حيث يقال إن الدجال نفسه، حين يظهر، سيستخدم قدرات غير منطقية لتهيئة النفوس لقبوله، كأن يكون نصفه ميت ونصفه حي، أو أن يملك عينًا واحدة تبصر كل

شيء. فهل هي مجرد مصادفة أن تنتشر دمية مخيفة، ذات ملامح ميتة، في زمن كهذا؟ وإذا كنا نعيش مقدمات نهاية الزمان، فهل يمكن أن تكون لابوبو إحدى علامات التهيئة النفسية، مثلما كانت التكنولوجيا، والواقع الافتراضي، والتلاعب بالبصيرة، من أدوات الفتنة؟ أم أننا نبالغ في الخوف، ونرفض ببساطة أن لعبة ما قد تكون بلا نوايا خفية؟ لكن يبقى سؤال أخير لا يريد أن يغادر الذهن: لماذا نشعر بهذا القلق العميق ونحن نحدق في وجه لابوبو؟ وماذا لو كانت حقًا ليست مجرد دمية... بل مفتاحًا لباب آخر... لا نريد أن نُجبر على فتحه؟

دمية لابوبو:تعويذة صوتية(2)

في ظل الانتشار السريع لدمية "لابوبو" التي اجتاحت الأسواق ووسائل التواصل الاجتماعي مؤخرًا، وضمن تحقيقاتنا الصحفية السابقة التي تناولت الرموز الخفية في هذه الدمية وعلاقتها بمفاهيم دينية شديدة الحساسية كالمسيح الدجال والشيطان لوسيفر، أجد نفسي مدفوعًا للغوص في جانب أكثر عمقًا وقلقًا: هل "لابوبو" مجرد اسم عشوائي لدُمية، أم أنها في الحقيقة كلمة ذات تأثير نفسي قوي، تُستخدم كتعويذة صوتية حديثة أو أداة برمجة لاواعية تزرع أفكارًا محددة في أذهان الأطفال، وتعمل على تشويش مفاهيم الهوية الجنسية لديهم؟

الدمية "لابوبو" لا تختلف كثيرًا عن الكثير من الألعاب والدمى التي تُطرح باستمرار في

الأسواق، لكن ما يميزها عن غيرها هو اسمها الغامض ونمطها البصري الذي يجمع بين ملامح ذكورية وأنثوية بشكل متعمد لا يراعي الفروقات الطبيعية بين الجنسين. هذه الملامح المتداخلة تجعلها تبدو "غير محددة الهوية الجنسية"، وهو أمر أثار حفيظة الكثير من الباحثين وأولياء الأمور المهتمين بالتربية السليمة.

لم أكتفِ بالنظر إلى شكل الدمية فقط، بل شرعت في تفكيك كلمة "لابوبو" نفسها، لأفهم أصلها ودلالاتها. وما وجدته كان مدهشًا وغامضًا في الوقت ذاته. الكلمة لا تنتمي إلى أي من اللغات الرسمية الشهيرة كالإنجليزية أو العربية أو اللاتينية أو حتى السنسكريتية. لكن عند التحليل الصوتي، وجدت أن الكلمة ترتبط لفظيًا بما يشبه "Labobo"و"Labubu"،

حيث تتكون من مقطعين لهما دلالة متناقضة بالأسبانية، لا:وهي آداة تعريف للمؤنث بالأسبانية ،وبوبو وهي كلمة مذكرة تعني الغبي والساذج .

، وهو تركيب لغوي غير صحيح من الناحية النحوية، لكنّه يحمل دلالة خفية على خلط الهوية الجنسية، حيث يجمع بين مذكر ومؤنث في كلمة واحدة. هذه التداخلات بين الجنسين تُعدّ من علامات التشويش على الهوية، وهو أمر يرتبط في الأبحاث النفسية والاجتماعية بمحاولات الترويج لأفكار الشذوذ الجنسي والتقليل من أهمية الفروق البيولوجية بين الذكر والأنثى.

"Labubu": اسم شخصية كرتونية أو دمية مشابهة تحمل ملامح هجينة، غير محددة جنسياً، ويُروّج لها في بعض الثقافات بصيغ تحمل طابعًا غامضًا بين البراءة والغرابة، ما يُعرف بـ اللطيف

الغامض، وهي صيغة تصاميم تهدف لجذب الأطفال والمراهقين، وفي الوقت نفسه تمرر رسائل غير مباشرة عن الهويات غير التقليدية.

لكن ما يجعل "لابوبو" أكثر إثارة للريبة هو طريقة استخدامها الصوتية المتكررة. في مقاطع الفيديو والأغانٍ والألعاب الإلكترونية، تُلفظ الكلمة بأسلوب يشبه التهويدة أو التنويم، بحيث تكرر كثيرًا بطريقة موسيقية سهلة النطق والذاكرة. هنا ننتقل من مجرد كلمة عادية إلى مفهوم أكثر عمقًا في علوم اللغة وعلم النفس: البرمجة العصبية اللغويةNLP ، التي تعتمد على تكرار كلمات أو أصوات مُحفّزة تؤثر على العقل اللاواعي دون وعي المتلقي.

في هذا السياق، كلمة "لابوبو" ليست مجرد اسم، بل قد تكون "تعويذة صوتية" أو "مفتاح برمجي" مكرّر بشكل منهجي، بهدف زرع فكرة معينة في العقل اللاواعي للأطفال، وبخاصة أفكار تتعلق بتشويش الهوية الجنسية، وقبول الشذوذ الجنسي، وتمييع الفروق البيولوجية بين الذكر والأنثى. وهي بذلك تشبه الأساليب القديمة التي استخدمت فيها الكلمات الغريبة أو الطقوس الصوتية لفرض سيطرة نفسية أو روحانية على المجتمعات، ولكن هنا تم تحديثها عبر التكنولوجيا والإعلام الحديث.

الأخطر من هذا كله هو أن هذه الدمى والكلمات لا تُقدم في فراغ، بل ضمن منظومة إعلامية متكاملة هدفها الرئيسي هو إعادة تشكيل الوعي الجمعي للأجيال الناشئة، عبر بث رسائل مبطنة في محتوى يبدو للوهلة الأولى بريئًا ومسليًا. من خلال الغموض الصوتي واللغوي، ومن خلال

الجمع بين ملامح متداخلة بين الذكر والأنثى، تحاول هذه الأسماء والدمى تحويل مفهوم الهوية من أمر ثابت وطبيعي إلى طيف متغير قابل للتمدد والتشكيل.

إن هذا الأسلوب ليس جديدًا تمامًا، لكنه يشهد اليوم تطورًا خطيرًا، إذ يتم إدخال هذه الرموز والأسماء في المحتوى الموجه للأطفال عبر قنوات متعددة، من ألعاب الفيديو إلى الفيديوهات الموسيقية إلى الدمى، مما يضاعف من تأثيرها ويجعلها أشبه بـ"تعويذات سمعية وبصرية" تُبرمج على مراحل.

ولعل أبرز ما يثير القلق أن الكلمة نفسها — "لابوبو" — تُكرّر بلا معنى واضح، بلا جذور لغوية معروفة، ما يجعلها كلمة مفتوحة يمكن

زرع أي معنى أو مفهوم في عقل الطفل عبر التكرار البسيط والاستخدام المستمر. فهل تصدق أن مجرد كلمة يمكن أن تكون أداة تخدير وتنويم لاواعي؟ هذا ما يذهب إليه الكثير من خبراء علم النفس والسلوك في دراسات حول تأثير الكلمات والأصوات المكررة.

في الختام، لم يعد "لابوبو" مجرد دمية أو اسم عابر. هي — بكل ما تحمله من رموز صوتية وبصرية — أداة ضمن مشروع أكبر هدفه التشويش على المفاهيم الطبيعية للهوية الجنسية، والترويج لأفكار الشذوذ تحت غطاء براءة الطفولة. والكلمة نفسها، التي تبدو بسيطة وسهلة، قد تكون "تعويذة حديثة" تُستخدم لزرع أفكار معينة في عقولنا وأذهان أطفالنا دون أن نشعر.

لذلك، من واجبنا أن نكون يقظين وننظر إلى ما وراء الألعاب والأسماء، وأن نسأل دائمًا: ما الرسائل التي تُزرع في أدمغتنا وأدمغة أطفالنا؟ وهل نحن مستعدون لترك الكلمة "لابوبو" تبرمج أجيال المستقبل في صمت؟

نظرية سر كدمة إيلون ماسك

في مشهد أثار الكثير من الدهشة والتساؤلات، ظهر الملياردير ومهندس المستقبل إيلون ماسك في إحدى المقابلات الأخيرة وهو يحمل كدمة داكنة وواضحة حول عينه اليمنى. قد يظن البعض أنها مجرّد حادث عرضي، أو ربما مجرد إجهاد، لكن ما إن ظهرت تلك الكدمة، حتى اشتعلت التكهّنات على الإنترنت، وبدأت دوائر نظريات المؤامرة في الدوران بسرعة الضوء.

أول ما لفت الانتباه هو أن هذه الكدمة ليست جديدة على الساحة العالمية. لقد شوهدت سابقاً على وجوه زعماء كبار، من باباوات الفاتيكان إلى رؤساء دول في لحظات حساسة من التاريخ، في مواقع تُنذر دائماً بتحولات كبرى. يُعتقد في بعض الأوساط أن هذه الكدمة تمثل "طقس عبور"، يُمارس ضمن دوائر ماسونية مغلقة، وأنها ترمز إلى "العين التي ترى كل شيء" —

نفس العين التي تتربع على قمة هرم الدولار الأمريكي.

فهل انضم ماسك أخيرًا إلى تلك النخبة التي تحكم من وراء الستار؟ وهل كانت تلك الكدمة إعلانًا رمزيًا عن دخوله مرحلة جديدة في مشروع السيطرة على العالم من خلال الذكاء الاصطناعي؟

لكن لم تكن الماسونية وحدها على لائحة الاحتمالات. صحيفة نيويورك تايمز كانت أكثر جرأة عندما لمّحت إلى احتمال أن يكون ماسك قد دخل في تجربة مع بعض الأدوية أو المخدرات. استندت الصحيفة إلى سلوكه الغريب مؤخرًا، لا سيما في لقائه الأخير مع الرئيس السابق دونالد ترامب، حيث ظهرت عليه علامات عدم التركيز، وتصرفات غير معتادة. هل كان الأمر مجرد إرهاق؟ أم أن ماسك فعلاً كان في حالة متغيّرة من الوعي؟

لكن إن نظرنا أبعد من التفسيرات التقليدية والمؤامرات المعتادة، فقد يكون الجواب أغرب وأكثر إثارة. في عام 2024، أعلن ماسك بفخر أن شركته قد نجحت في غرس أول شريحة دماغية في دماغ إنسان حي، مكّنته من التحكم بحاسوب بمجرد التفكير. لكن... ماذا لو لم يكن ذلك كل شيء؟

الفرضية الأكثر جرأة هنا، أن ماسك نفسه خضع لزراعة شريحة مطوّرة – ولكن ليس عبر الجمجمة، بل عبر العين. هذه الكدمة قد تكون ببساطة العلامة الخارجية لعملية دقيقة جرت للوصول إلى مناطق بصرية حساسة داخل الدماغ، ما يفسر أيضًا نظرات ماسك المتكررة للأعلى أثناء الحديث، وكأن عينيه تعيدان تفسير العالم بطريقة جديدة تمامًا.

تصرفاته، حديثه المتقطع، حتى ضحكاته التي بدت ميكانيكية في بعض الأحيان – كلّها قد تشير

إلى أن الشريحة بدأت تؤثر في شخصيته وإدراكه، وتحاول التكيّف مع عقله الفريد.

هل نجح مشروع الشريحة حقاً؟

إن صحّ هذا الاحتمال، فإننا لا نعيش فقط بداية ثورة تكنولوجية – بل بداية نوع جديد من الوجود البشري. إيلون ماسك ربما لم يعد فقط ذلك العبقري الطموح الذي يريد استعمار المريخ أو تسريع السيارات الكهربائية. بل أصبح "أول سايبورغ واعٍ"، أول إنسان بدأ يتحول إلى شيء آخر، أكثر من مجرد لحم ودم.

يبقى السؤال: هل كانت الكدمة دليلاً على انضمامه لنخبة سرية؟ أم علامة على تعاطي محظور؟ أم ببساطة ندبة أول تجربة بشرية لاختراق حدود الدماغ؟

الجواب لا يزال في طيّات الغموض، لكن الحقيقة، كما يقولون... في العين.

وما دامت العين لا تزال تنظر للأعلى، فإن المستقبل ينتظرنا ـــ وقد لا نكون مستعدّين له.

"أسخن صيف": هل خُدِعنا؟

في كل عام، تهتز عناوين الصحف وتنطلق صافرات الإنذار من مراكز الأرصاد، ويطل علينا العلماء بوجوه جادة ونظرات متجهمة ليعلنوا: "هذا العام هو الأسخن على الإطلاق في عمر الإنسان". لكن، هل هذه العبارة حقيقة علمية ثابتة؟ أم أنها خدعة نُسجت بخيوط العلم الظاهري لتضليل العقول؟

في ظاهر الأمر، الأرقام لا تكذب: درجات حرارة تُسجل في معدلات غير مسبوقة، موجات حر تكتسح الدول من شرقها لغربها، وتحذيرات لا تتوقف من التغير المناخي. لكن، خلف هذا المشهد المرعب، تهمس نظرية نفسية غامضة بقصة مختلفة تماماً، تروى في أروقة علم النفس الفسيولوجي، علم الأعصاب والحواس... وتقول: انتبه، فربما لا تكون الحرارة هي من ازدادت، بل أنت من أصبحت أكثر حساسية!

في علم النفس الفسيولوجي، هناك نظرية مثيرة تقول إن الحواس، عندما تُحرم من مثير لفترة طويلة، تصبح أكثر استجابة له حين يعود. خذ مثلاً الضوء: من يقضي وقتاً طويلاً في غرفة مظلمة، ثم يتعرض فجأة إلى ضوء الشمس، تصاب عيناه بانزعاج شديد وكأنها أمام نجم مشع، رغم أن الضوء ذاته لا يختلف عما تعود عليه في أيامه العادية. ما تغير؟ فقط حساسيته له.

وهنا يبرز السؤال: هل نعيش اليوم فعلاً في حرٍّ لا يُطاق؟ أم أن أجسادنا المدللة، التي اعتادت البرودة، أصبحت لا تحتمل لسعة شمس بسيطة؟ ففي عالم يسيطر عليه التكييف المركزي، والنوافذ المعتمة، والجلوس الطويل في المكاتب المعزولة عن الطبيعة، أصبحت أجسامنا تتفاجأ بأي تغير حراري وكأنه نهاية العالم.

في كل بيت، كل سيارة، كل متجر، هناك جهاز تكييف يعمل بلا توقف. أجسامنا لم تعد تعرف كيف تتفاعل مع درجات الحرارة الطبيعية. فمع قلة التعرض للحر، تصبح مستقبلات الحرارة في الجلد أشبه بجنود نائمة... حتى إذا تعرضت فجأة لأشعة الشمس، أطلقت أجراس الإنذار في الدماغ.

العلماء يتحدثون عن "أرقام"، لكنهم لا يتحدثون عن "الناس". ولا عن التغير الفسيولوجي الذي طرأ على إحساسنا بالحرارة. هذه ليست فقط درجات حرارة ترتفع... بل هي حواس تنهار.

هل يمكن أن تكون هناك لعبة خفية؟ أن يكون في إعلان "الأسخن على الإطلاق" هدف خفي؟ سياسة بيئية؟ دعاية لمشاريع الطاقة البديلة؟ تبرير لضرائب الكربون؟ أسئلة كثيرة، تفتح الباب أمام نظريات عدة، كلها تطرح احتمالاً مثيراً: ربما لا نعيش فعلاً في أكثر صيف سخونة... بل فقط في أكثر صيف خداعاً للحواس.

وفي النهاية... لا أزعم أني حطمت نظرية الاحتباس الحراري، لكني وضعت إصبعي على جرحٍ لا يريد الكثيرون الاعتراف به. وربما، فقط ربما، تستحق هذه النظرية التي كشفتها حاسة الإنسان قبل أن يكتشفها العلماء، أن تُدرَس... أو حتى تُمنَح جائزة نوبل، لا على أساس الأرقام، بل على أساس الفهم الأعمق لجسد الإنسان.

عزيزي القارئ... إذا شعرت هذا الصيف بحرارة لا تُحتمل، فلا تلعن الشمس... بل فكّر متى كانت آخر مرة عشت فيها يومك دون تكييف.

متى يصبح الخطاب الديني جريمة نفسية؟

في زمن تتسارع فيه وتيرة القلق، ويغمر فيه الإنسان إحساسٌ عميق باللاجدوى، يصبح الخطاب الديني أحد آخر الملاذات المتبقية لطمأنة الروح ومداواة جراحها. لكنه، ويا للمفارقة، قد يتحوّل أحيانًا إلى جزء من المشكلة بدل أن يكون طريقًا نحو الحل.

المؤسف أن كثيرًا من الخطابات الدينية المعاصرة لا تعين الإنسان على مواجهة الحياة، بل تهزمه قبل أن يبدأ. تُروّج لأشكال من الرعب الأخروي، وتُغرق النفس في صور فانتازية للعذاب، والجحيم، والانتقام الإلهي، حتى يصبح الدين نفسه مصدراً للتوتر الانفعالي، لا للسكينة، كما يُفترض أن يكون.

لسنا أول من نبّه إلى خطورة هذا النوع من الخطاب، فقد فعلها أفلاطون منذ أكثر من ألفي

عام في "الجمهورية"، حين هاجم بشدة الشعراء والمروّجين للحكايات الأسطورية التي تصور الآلهة على هيئة معذبين للبشر، وزارعين للرعب في النفوس. بالنسبة لأفلاطون، لم يكن الهدف من الدين أو الميتافيزيقا أن تُرهب الإنسان، بل أن تساعده على بناء مدينة فاضلة بداخله، حيث العدل والتوازن والسلام.

وقد لا نبالغ إذا قلنا إن كثيرًا من الخطب والمواعظ في واقعنا اليوم تتنافى مع هذا التصور الأفلاطوني النبيل، إذ نسمع عبارات من قبيل: "تخيل نفسك في قبر مظلم"، أو "تخيل لهيب النار وهو يلتهم جلدك"، في سياق يبدو أقرب إلى خطاب تعذيب نفسي ممنهج لا يُنتج إيمانًا، بل اضطرابًا وجوديًا مزمنًا.

انطلاقًا من هذا السياق، يمكننا أن نقترح معيارًا بسيطًا وعميقًا لقياس جودة الخطاب الديني ذكره

الدكتور المغربي سعيد ناشيد في كتابه نقد القوة وهو:

هل يمنحك شجاعة الوجود ومن ثم سكينة الروح، أم يزرع فيك رعبًا وجوديًا وتوترًا دائمًا؟

هذا المعيار ليس تنظيرًا فلسفيًا مجردًا، بل هو مطلب فطري، إنساني، وشديد الارتباط بأصل الرسالة الدينية ذاتها. إذ أن غاية الدين ليست إخضاع الإنسان عبر الترهيب، بل تمكينه عبر الطمأنينة. ليست مهمته تهديد النفس بل احتضانها، لا تعذيب الروح بل شفاؤها.

الخطاب الديني الجيد ليس من يُرعبك من الموت، بل من يُحببك في الحياة رغم الموت. ليس من يجعلك تسعى للهروب من الآخرة، بل من يجعلك ترى الله في كل لحظة من الوجود. ليس من يجعلك تخاف وتموت رعبا من فكرة لقاء الله. بل من يحبب إليك هذا .

حين يتحول الدين إلى مجموعة من القصص التي تثير الرعب فقط، فإننا لا نبني إيمانًا حقيقًا بل نصنع حالة من الانقياد العصابي. يخضع الناس للدين بدافع الخوف، لا بدافع الحب، ويؤدون الطقوس كأنهم يسددون فواتير تفادياً للعقاب، لا من باب الحنين إلى معنى أسمى.

إن هذا التحول خطير، لأنه يحوّل الدين من تجربة روحية عميقة إلى علاقة عصابية تقوم على الابتزاز النفسي. وحين نخاف الله أكثر مما نحبه، فإننا لا نعبد الله، بل نعبد خوفنا منه. وهذا يُنتج شخصيات قَلِقة، ومجتمعات مهزوزة، ووعيًا دينيًا هشًا سرعان ما ينهار أمام الشك أو النقد.

هنا يظهر الدور الحرج للمؤسسات الدينية، والخطباء، والمربين، الذين يجب أن يتساءلوا بصدق: ما الأثر النفسي الحقيقي لما نُقدمه؟ هل نزرع السلام الداخلي في نفوس الناس، أم نزيد

من اضطرابهم؟ هل نخاطب وجدانهم، أم نُرهقهم بالخوف؟

بعضهم يعتقد أن التخويف هو أقصر طريق للهداية، وهذا غير صحيح. التخويف قد يُنتج امتثالًا ظاهريًا، لكنه لا يبني قناعة، ولا يخلق إنسانًا حرًا ومسؤولًا. وحده الإيمان القائم على الحب والطمأنينة هو القادر على البقاء والتجذر في النفوس.

لذلك يكثر التساؤل حول علاقة التدين الشديد في هذا العصر بالاضطرابات النفسية، سابقا كان التدين مفهوم كنهه مما جعل الناس يعتنقونه عن حب لا رهبة، لذلك كان التدين ستار لهم من الإضطرابات والأمراض النفسية، لكن مع تقدم الزمن، وإنحراف الخطاب الديني إلى الترهيب والترعيب ،ظنا منه أنه الأسلوب الأمثل ،ازدادت الأمراض النفسية بين المتدينين أكثر من غيرهم، حتى أصبحوا كائنات غارقة في الألم والرعب

،تبحث عن السلام والتصالح ولا تجده، مع استمرار وإنحراف بوصلة الخطاب الديني حاليا. مما يجعلنا نتسأل ونراجع قراراتنا عن جدوى هذا الأسلوب في الخطاب الديني، وهل نحن بحاجة لتغييره؟

إننا نحتاج اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، إلى خطاب ديني يعيد الإنسان إلى مركز المعادلة، يُشعره بأنه محبوب، مقبول، ذو كرامة، وله مكان في هذا الكون. نحتاج إلى خطاب يُخرجنا من عبودية الخوف إلى حرية الطمأنينة.

عود نفسك إذن على استعمال هذا المعيار في تقييم تجربتك الدينية. لا تنخدع بكمية النصوص أو حِدة اللغة، بل اسأل نفسك بصدق:

هل هذا الخطاب يمنحني السلام أم يسرق مني الأمان؟

هل يجعلني أواجه الحياة بقوة أم أهرب منها برعب؟

هل يريني الله كحبيب أم كجلاد؟

إن الإيمان الذي لا يُنتج سكينة، ولا يمنح كرامة، ولا يزرع شجاعة، هو إيمان ناقص مهما بدا متينًا. فالله، في النهاية، هو "السلام"، و"الرحمن"، و"الودود"... لا مجرد "الجبار" و"المنتقم".

يا وزارة التربية:هل تخلقون جيلا معاقا؟

منذ متى أصبح التعليم سجناً؟ منذ متى صار الكرسي رمزاً للانضباط؟ منذ متى بات الصمتُ معياراً للنجاح؟ طفلٌ صغير لم يتجاوز السادسة يُفرض عليه الجلوس ساعات متواصلة في وضعية واحدة كأن جسده جُبل على الجمود، يُطلب منه الإنصات لا التفاعل، الحفظ لا الفهم، السكون لا الاكتشاف، أي جرمٍ ارتكب هذا الجسد الصغير ليُعاقب يومياً بهذا الشكل البليد باسم التربية؟ أي عقل تربوي يرى في التخشب انضباطاً وفي الطاعة الميكانيكية تفوقاً؟ نحبسه في صف ضيق، نقيّده بكرسي، نُغلق عليه الأبواب، ثم ننتظر أن يفتح للعالم أبواب الإبداع، نطالبه أن يخدم وطنه بقوة وهمّة بعد أن سلبنا منه كل مقومات القوة والحيوية والمرونة، نطلب منه أن ينهض لبناء مستقبل لا نملك نحن الشجاعة أن نعده له بشكل سليم، كيف ننتظر منه السعي وهو

لم يعرف طعمه، كيف نطلب منه الحماس وقد قتلناه في مهده، كيف نعاتبه على الخمول ونحن من علمه الصمت والتبلد والانكماش؟

الطفل في صغره فطر على الحركة ،وأن تقيديه في كرسي لمدة تزيد عن ثلاث ساعات، هذه جريمة تسبب جسد كسول ومتخشب وخامل ،قد يفقد رغبته في الحركة مع توالي هذا النهج ،وقد يزيد قلة الحركة والكسل حدة، اعتماده الكبير في البيت أيضا على التكنولوجيا ووسائل التواصل، التي يستغرق فيها ساعات أمام شاشاتها، محدقا ساكنا خاملا... لا يتحرك ولا يفرغ طاقته. أليس هذا إجرام بحق الطفولة ؟! فكما يقول دارون :"أن العضو الذي يقل استهلاكه. يفقد مع مرور الزمن". وكما قال العلماء النفسانيين سابقا":

Use it. Or lose it...

الكاتب سعيد ناشيد قالها دون مواربة في كتابه نقد القوة: "مكوث الطفل لساعتين أو أكثر جالسًا في الوضعية نفسها، بدعوى التمدرس، يمثل تعسفًا على الجسد، تعسفًا على الطفل، وتعسفًا على الإنسانية"، أي قسوة أكبر من أن نعتبر حركة الطفل جريمة، وفضوله مشكلة، ونشاطه اضطرابًا، نكسر جسده ونكسر معه نفسه، ثم نحاسبه على هشاشته، نعلمه ألا يتحرك، ألا يركض، ألا يتكلم، ثم نصاب بالذهول حين يتحول إلى شابٍ بطيء، خامل، متوتر، عاجز عن التأقلم مع الحياة، نندهش من كثرة من يعانون من الاكتئاب والقلق وننسى أن جذور الأمر تعود إلى هذا النظام التعليمي العقيم الذي لم يفهم أن الجسد ليس عدواً للعقل، بل شريكه وحارسه ومصدر طاقته، أن من يمنع الجسد من الحركة يقتل العقل في صمت، أن الجمود الطويل لا يصنع سوى

عقول متصلبة، ضعيفة المرونة، ثقيلة الفهم، خائفة من المبادرة، واهنة أمام الضغوط.

كيف لا تنتشر بين طلابنا الأزمات النفسية؟ كيف لا نشهد ارتفاعاً في معدلات القلق والخوف والتوتر؟ الجسد المحبوس يتنفس ألماً، والعقل المُجمد يصرخ من الداخل، والطفل المحروم من الحركة يتحول إلى بالغٍ يعاني من الانفصال عن ذاته وعن الحياة، والأخطر من ذلك، أننا لا نراه مريضاً لأن أعراضه لا تنزف دماً، بل تختبئ خلف سلوكيات وانهيارات متراكمة، لا نفهمها، لا نحتويها، ثم نلومه هو لا المنظومة.

ومن ثم السؤال الذي يدهشني، كيف تطلبون من شخص قضى 23 سنة من عمره، محبوسا في كرسي ،يستمع ويتلقى فقط ،كيف تطلبون منه بعد كل هذا، أن يكون كومة من النشاط، يبدع ويسعى في هذه الحياة، ويواجهها بقوة وصرامة ومرونة جسدية ،التي تتحول تلقائيا لمرونة عقلية ،غير

جامدة وفق كرسي وخلف مقعد دراسي منضبط ،لا يتحرك عنه قيد أنملة. هل هذا هو الجيل الذي ترغبون في تنشئته؟! جيل معاق جسديا، يحب الخمول والدعة والجلوس ،تأخذه التكنلوجيا في هاويتها السحيقة ويسيطر عليه الانترنت في جانبه المظلم .

الوقت حان لنقولها بصوت عالٍ: التعليم بصيغته الحالية يصنع جيلاً معاقاً، جسدياً ونفسياً وذهنيًا، جيلًا هشًّا يتألم دون أن يجد تفسيراً لألمه، ولا خلاصًا من عقده، حان الوقت لندرك أن العقل السليم لا يولد من جسد مكسور، وأن الطفل الذي لا يتحرك اليوم، لن يستطيع أن يتحرك غداً، لا في العمل، ولا في الحياة، ولا في خدمة وطنه، لا يكفي أن نُصلح المناهج، بل يجب أن نُعيد للمدرسة روحها، أن نفتح الأبواب، أن ندمج الأنشطة الحركية في صلب كل يوم دراسي من الروضة حتى الجامعة، أن نصنع إنساناً كاملاً لا

مجرد رأس يُلقّن، ولا جسد يُحبس، أن نعيد للطفولة حقها في الحرية، للحياة حقها في التنفس، وأن نفهم أخيراً أن التعليم لا يعني حبس العقول داخل جدران الصمت، بل يعني إطلاق الإنسان ليكتشف، ويتنفس، ويتحرك، ويحلم.

هل نستفيق قبل أن نفيق على جيل مشلول من الداخل؟ أم نواصل بكل ثقة صناعة الإعاقة باسم التربية؟

هل مسؤولونا أكبر من القانون؟

لا أخاف العرب طالما لا يحترمون الطابور"، هكذا قال موشي ديان، الرجل الذي لا يحمل لنا إلا العداء. ورغم ما تحمله عبارته من وقاحة واستعلاء استعماري، إلا أن فيها ما يُجبرنا – وبمرارة – على مواجهة عيب حضاري متجذّر في سلوكياتنا اليومية، لا سيما حين يتعلق الأمر بمسؤولينا. فكم هو مخزٍ أن نؤكد صدق هذا العدو، لا بأقوالنا، بل بأفعالنا! وقوف الطابور ليس سلوكًا بسيطًا في نظام الحياة اليومية، بل هو تعبير عميق عن مدى تحضّر الشعوب، وعن قدرة المجتمع على احترام القانون، والعدل، والمساواة. حين يقف الجميع – المواطن، المقيم، الوزير، والعامل – في صف واحد، ينتظرون دورهم، فذلك هو الدرس الحقيقي في المواطنة والانضباط. الطابور ليس انتظارًا فحسب، بل هو شكل من أشكال العدالة التي تُمارس بالصمت،

وأحد أهم تمثّلات دولة القانون التي لا تُميّز بين الناس بحسب مناصبهم أو أسمائهم.

ولكن، في الواقع العماني، نجد أن هذا المعنى الحضاري غائب تمامًا حين يتعلق الأمر بكثير من المسؤولين. المسؤول العماني، في أغلب الأحيان، لا يقف طابورًا. يدخل من أبواب خلفية، تُفتح له الممرات، تُنجز معاملاته قبل الجميع، ويُهمَس اسمه في أذن الموظف ليُقدَّم بلا استحقاق. هذه الممارسات ليست مجرد تجاوزات فردية، بل هي مؤشر صريح على خلل أعمق في فهم مفهوم الدولة الحديثة. الدولة التي يعلو فيها المسؤول على القانون، هي دولة تسير في طريق الانحدار، مهما تجمّلت في إعلامها ومظاهرها. فمن لا يقف في الطابور اليوم، لن يتردد في تجاوز قانون الغد، والسلطة التي لا تُمارس الانضباط في تفاصيلها الصغيرة، هي سلطة لا تؤتمن على

التفاصيل الكبرى. هذا النوع من التجاوز – الذي يبدو للبعض "بسيطًا" – هو في الحقيقة شكل ناعم من الفساد، لكنه أكثر فتكًا؛ لأنه يقتل فكرة العدالة من داخلها، ويهدم ثقة المواطن في المؤسسات، ويجعل الناس يشعرون أن المواطنة ليست قيمة، بل ترتيب طبقي يتفاوت بقدر النفوذ.

ما الذي يمنع المسؤول من الوقوف مع الناس؟ أهو فوقهم؟ أوقته أثمن من أوقاتهم؟ إن لم يكن المسؤول قدوة في احترام النظام، فمن سيحترمه؟ وإن كنا نحن ننتظر ونتحمّل، فما الذي يُبيح له التقدّم دون وجه حق؟ إن المسؤول الذي لا يقف طابورًا، لا يستخفّ بالناس فقط، بل يستخفّ بالدولة نفسها، ويختزلها في شخصه، كأنها لا وجود لها خارج إرادته ونفوذه. وفي كل مرة يحصل فيها هذا المشهد، تُوجَّه رسالة صريحة للمجتمع: القانون يُطبّق فقط على الضعفاء، أما

الكبار، فهم في منأى عنه. بهذه الرسالة، تذبل الثقة، ويترسخ الظلم، وتنهار هيبة النظام من الداخل.

الدول المتقدمة لا تُقاس بثروتها ولا بشعاراتها، بل بلحظة بسيطة كهذه: حين ترى وزيرًا يقف بهدوء في طابور مستشفى، أو ضابطًا ينتظر دوره في المطار، أو واليًا يسجّل اسمه عند الموظف كبقية الناس. تلك اللحظة، وإن كانت قصيرة، تختصر مئات الخطابات، وتُجسّد قيمة المواطنة في أنبل صورها. فهل من المعيب أن نرى مسؤولًا عمانيًا يفعل ذلك؟ أم أن ثقافة الامتياز والتمييّز باتت متجذّرة في ذهنية السلطة عندنا؟ المؤسف أن هذه الثقافة تُورَّث، وتنتقل من رأس الهرم إلى القاعدة، فينشأ جيل يرى في المنصب ترفًا، لا تكليفًا. فبدلًا من أن يكون الموظف خادمًا للناس، يتحوّل إلى سيد عليهم،

وبدلًا من أن يكون النظام فوق الجميع، يصبح خاضعًا للنفوذ والواسطة.

إن الدولة التي لا يقف مسؤولوها طوابير مع الناس، دولة مأزومة أخلاقيًا، ومختلّة إداريًا، ومُقبلة على مستقبل غامض. لا يُعقل أن نرفع شعارات الإصلاح والنزاهة، بينما تُمارس التفرقة على أبواب المؤسسات، ولا يُمكن أن نحلم بمواطنة حقيقية، إذا كان المسؤول يرى نفسه استثناءً على القانون. آن الأوان أن نعيد الاعتبار للعدالة اليومية، تلك التي تبدأ من احترام الطابور، وتنتهي بترسيخ دولة لا تفرّق بين الوزير والمواطن في الحقوق والواجبات. فالمسؤول الذي لا يحترم الطابور، لا يحترم الدولة. ومن لا يحترم الدولة، لا يستحق أن يمثلها.

فتور القراءة:كيف تستعيد شغفك المفقود؟

يمر القارئ، مهما بلغت علاقته بالكتب عمقًا، بلحظات فتور لا مفر منها، لحظات يجد فيها نفسه عاجزًا عن فتح كتاب أو إكمال صفحة، فيغمره شعور بالذنب ووخز في الضمير، لأن الأيام تمضي دون أن يضيف شيئًا جديدًا إلى رصيده المعرفي. هذه الحالة طبيعية، فالقلوب لها إقبال وإدبار، والعقول كذلك، ولا يمكن أن نظل في حالة شغف دائم. ولكن الجميل في الأمر أن هذا الفتور يمكن تجاوزه، بل وتحويله إلى فرصة لاكتشاف الذات من جديد، وتجديد العلاقة مع القراءة بصورة أعمق وأصدق.

أول ما ينبغي على القارئ فعله هو التحلي بالمرونة. إذا شعر أن نوعًا معينًا من الكتب بات يُثقل عليه، فليغيّره فورًا. إذا كانت قراءاته

الأخيرة تدور في الكتب الدينية، فليجرب شيئًا مختلفًا، ربما رواية تشده بأسلوبها القصصي، أو كتابًا في الفلسفة أو علم النفس. التنويع ضروري، فهو لا يمنع الملل فحسب، بل يوسّع الأفق ويكشف زوايا جديدة من التفكير لم يكن ليصل إليها عبر نوع واحد من الكتب. وإن كان القارئ قد غاص طويلًا في كتب الخيال، فقد يكون من المفيد العودة إلى الواقع بقراءة تجارب بشرية حقيقية أو كتب تنمية ذاتية أو حتى علوم الطاقة، فكل تغيير في نوع المادة المقروءة كفيل بأن يوقظ الحماس الكامن.

وفي حال بقي الفتور رغم التنويع، فليتذكر القارئ أن الكتاب ليس وحده مصدر المعرفة. بإمكانه أن يطلّ على نافذة أخرى: مشاهدة فيلم وثائقي، الاستماع لمحاضرة، قراءة مقال مشوّق، أو حتى الاستماع إلى الشعر لتحسين الذوق اللغوي. هذه

البدائل لا تلغي مكانة الكتاب، لكنها تمنح الذهن استراحة، وتعيد له الرغبة في العودة إلى الورق بحنين وشوق. المهم أن تبقى جذوة الفضول مشتعلة.

ويُخطئ من يظن أن الحل في إجبار النفس على القراءة ساعات طوال. على العكس، القراءة كالعلاقة العاطفية، كلما بدأت بلطف وتركيز، طال أمدها. عشر دقائق فقط من القراءة كل ساعتين كافية لتعويد النفس من جديد، ثم يزيد الوقت تدريجيًا. التدرّج مفتاح، لأن ما يُفرض بالقوة يزول بسرعة، أما ما يتحول إلى عادة فسيبقى ما بقي العمر. وفي فترات الفتور، يمكن للكتابة أن تكون الدواء الأقوى، فالكتابة ليست فقط تنفيسًا عما يدور في الذهن، بل وسيلة لترتيب الأفكار واستعادة النشاط، بل قد تُشعل فيك الرغبة

للعودة إلى القراءة لتغذية تلك الكتابة بأفكار جديدة.

ومن الوسائل الفعالة أيضًا الانخراط في النقاش والحوار، فالكلمات حين تتفاعل بين العقول تُولد أفكارًا جديدة. لا تتردد في مناقشة كتاب قرأته، أو فكرة أثارتك. تحدث مع أصدقاء القراءة، أو حتى أناس مختلفين تمامًا، فربما وجهة نظر واحدة تفتح لك أفقًا جديدًا. واستمع أكثر مما تتكلم، لأن الاستماع يغذي الفكر أكثر من الحديث.

أما إذا وجدت نفسك بلا رغبة ولا هدف، فابدأ بطرح الأسئلة. اسأل عن الحياة، عن الإنسان، عن الوجود، وابحث عن أجوبة. طرح الأسئلة هو البوابة التي يدخل منها الفضول، والفضول هو روح القراءة. تابع من يطرحون أسئلة كثيرة،

تأمل طريقتهم في التفكير، دع فضولك يتعلم منهم، وحينها ستجد نفسك تبحث عن الكتب بإلحاح، لا لأنك مجبر، بل لأنك مشغوف بالوصول إلى إجابة تشبع ذلك السؤال المُلِح في داخلك.

وفي هذا العصر الرقمي، لا تغفل عن قوة تعليقات الناس. تابع ما يكتبه الآخرون، حتى لو بدا بسيطًا. فربما جملة عابرة في تعليق ما تُشعل فيك شرارة تفكير، أو توصلك إلى فكرة جديدة. لا تستهِن بأحد، فالحكمة قد تأتي من حيث لا تتوقع. وإذا شعرت أنك جربت كل الطرق ولم تنجح، فجرّب طريقة الخمس دقائق: اقرأ لخمس دقائق فقط، ثم توقف. ستندهش كم مرة ستتحول تلك الخمس دقائق إلى نصف ساعة دون أن تشعر، فقط لأنك بدأت.

وإن لم تفلح كل هذه الوسائل، فلا بأس أن تتوقف تمامًا. خذ استراحة، دع نفسك تسترخي، وابتعد عن كل ما يُشعرك بالضغط. فالفترة التي تنقطع فيها عن القراءة ليست هدرًا، بل قد تكون هي اللحظة التي يتشكل فيها شغف جديد في الظل، بانتظار أن يعود إليك في الوقت المناسب.

في النهاية، الفتور مرحلة، لا يجب أن تُخيفك أو تجعلك تشك في حبك للقراءة. إنه مجرد صمت مؤقت، لا يعني نهاية العلاقة، بل استراحة محارب. فكن رفيقًا بنفسك، ولا تترك الشعور بالذنب يطغى، بل تعامل مع فتورك كأنه فرصة لاكتشاف طريق جديد نحو نفس الحب، ولكن بأسلوب أكثر نضجًا وصدقًا. القراءة شغف لا

يموت، لكنها تحتاج أحيانًا إلى أن تُروى من ينابيع أخرى لتعود أكثر حياة.

الإكتئاب والشيخوخة:لماذا لا يضحك المكتئبون؟

جلستُ قليلاً في إحدى زوايا البيت خلال عطلة نهاية الأسبوع،في ركني الخاص بالتأمل مع كوب قهوتي، أراقب الوجوه من حولي. كان المشهد عاديًا جدًا، لكن شيئًا ما جعلني أغرق في تساؤل عميق: لماذا يضحك الأطفال بسهولة، بينما تقل ضحكات الكبار مع مرور الزمن؟ لماذا تضحك جدتي أقل من أبي، وأبي أقل مني؟ شعرتُ فجأة بأن الضحك، تلك النعمة الخفيفة التي كنا نستمتع بها في طفولتنا دون حساب، أصبح شيئًا نادرًا، بعيدًا، كأن الزمن يسرقه منا كلما تقدّم بنا العمر.

الطفل يضحك يوميًا ما معدله 300 مرة، بينما البالغ قد لا يضحك أكثر من 10 مرات في اليوم – هذا ما تقوله بعض الدراسات. لكن الأرقام وحدها لا تروي القصة كاملة.

الطفل لم يحمل بعد أوزان الحياة، لم تُثقل روحه بهموم العمل والفواتير والمسؤوليات، ولم يمر بعد بتجارب الخذلان والفقد والحسرة. أما الكبار، فهم يسيرون في دروب الحياة حاملين في قلوبهم تجاعيد من التجارب لا تقل عمقًا عن تلك التي ترتسم على وجوههم.

الطفل يضحك لأنه لم يعرف بعد معنى الخسارة، لم تجرّبه الحياة ولا لسعت روحه التجارب القاسية. كل شيء يبدو له جديدًا، مثيرًا، مضحكًا. أما الكبار، فهم يسيرون بثقل على أرض الحياة، يحملون على أكتافهم تراكمات من المسؤولية والخذلان والخوف والتجارب المنهكة. القلب الذي ضحك في طفولته بحرية، صار اليوم مترددًا، مثقلًا، عاجزًا أحيانًا عن الفرح. يضحك الكبير، نعم، ولكن بعد تردد، بعد مقاومة داخلية لا نفهمها

تمامًا، كأن الفرح صار يحتاج تبريرًا والضحك مناسبة تستحقه.

قد يكون السبب في تناقص الضحك مع تقدم العمر هو الخبرة الشعورية المتراكمة. الإنسان كلما تقدم في السن، صار أكثر إدراكًا لحجم الألم في العالم، أكثر وعيًا بفناء الحياة، وأكثر شكًا في معنى الفرح. يصير الضحك – الذي كان يومًا رد فعل تلقائي – قرارًا يحتاج مبررًا، أو مناسبة تستحقه. في طفولتنا، كان كل شيء يستحق الضحك، أما الآن، فحتى المناسبات السعيدة يرافقها الحذر والترقب والقلق من القادم.

وفي هذا السياق، راودني سؤال أكثر غرابة: هل المكتئب يكبر أسرع من غيره؟ لمَ يبدو الشخص المصاب بالاكتئاب أكبر عمرًا من أقرانه؟ وذلك نظرا لقلة ضحكه وابتسامته؟وهل ذكاؤه الفطري

جعل من تسارع خبراته المتراكمة أسرع لديه من غيره؟بمعنى آخر هل سبب الكآبة شيخوخة نفسية مبكرة بسبب ذكاء جعل عملية تراكم الخبرات الشعورية متسارعة لديه؟هذه الملاحظة ليست فقط شخصية، بل أثبتها العلم. فقد كشفت دراسات حديثة أن الاكتئاب قد يرتبط بتسارع الشيخوخة على المستوى الخلوي. الجينات المسؤولة عن إصلاح الخلايا تبلى بسرعة أكبر لدى من يعانون من الاكتئاب، وقد وجد العلماء أن أطراف الكروموسومات (المعروفة بالتيلوميرات) – وهي مؤشر حيوي على التقدم بالعمر – تقصر بشكل أسرع لدى المصابين بالاكتئاب.

بمعنى آخر، الكآبة ليست مجرد حالة نفسية، بل عملية فيزيولوجية تسرّع استهلاك الجسد. الوجه يتهدل، النظر ينطفئ، والروح تشيخ .

الإنسان المكتئب لا يضحك، ليس لأنه لا يريد، بل لأنه لا يستطيع. وكأن الضحك نفسه أصبح ثقيلًا على روحه، مجرّد فكرة مستحيلة. ومع غياب الضحك، يغيب الأمل، تغيب الرغبة في المستقبل، وتذبل طاقة الحياة. هذا التآكل النفسي لا يبقى في حدود الروح فقط، بل يتسرّب إلى الجسد، فيتقدم بهم العمر قبل أوانه، ويصير الحزن تجاعيد على الوجه، ووهناً في العظام، وذبولاً في النظرة.

أفكر أحيانًا أن الضحك ليس ترفًا ولا نتيجة للفرح فقط، بل فعل مقاومة. طريقة نقول بها للحياة إننا ما زلنا هنا، قادرين على الحب والمرح والمستقبل. ربما إذا ضحك الإنسان أكثر، عاش أكثر. وربما إذا حاول أن يخرج من دائرة الكآبة، كان ذلك أعظم انتصار على الشيخوخة المبكرة.

نحن لا نملك أن نمنع الحياة من أن تُنهكنا، لكننا نملك أن نختار كيف نردّ على ذلك: إما بالاستسلام، أو بابتسامة، ولو كانت صغيرة، ولكنها صادقة.

كل هذه الأسئلة التي أثارتها عطلة عابرة جعلتني أفهم أن الضحك ليس مجرد رد فعل، بل هو قرار، ومرآة لحالتنا النفسية. والذين لا يضحكون، لا يكبرون فقط في عيوننا، بل تشيخ أجسادهم فعلاً. فاحرص على ضحكتك، فإنها لا تطيل عمرك فقط، بل تجعله أجمل.

استهداف القطاع الصحي:قصة فياض الكندي إنموذجا

في زمن تتعاظم فيه الأزمات وتتكشف فيه الحقائق خلف ستار المؤامرات والتعتيم، بات من الضروري أن نرفع الصوت عاليًا ونفتح أعيننا على ما يجري أمامنا ببطء وبمكر منظم. لا أتحدث من منطلق نظرية مؤامرة فارغة، بل من تجربة شخصية عميقة وأليمة، وتجارب شعب بأكمله، تراكمت إلى أن صنعت قناعة راسخة لديّ مفادها أن القطاع الصحي في سلطنتنا هو أول قطاع مستهدف بعد التعليم، بل لعله الأكثر حساسية وخطورة في هذه المرحلة. كتبت قبل مدة كتابًا بعنوان "أسرار قوى الظلام" وضعته متاحًا للجميع عبر مكتبة نور وغيرها، وجعلت فيه قضية استهداف القطاع الصحي أحد المحاور الأساسية، لأنه بعد رحلة مؤلمة في أروقة أحد مستشفيات السلطنة، شعرت بما لم أكن أراه، رأيت كيف يمكن للمرض أن يكون وسيلة إذلال، وكيف يمكن للصحة أن تُدار بطريقة تجعل من الإنسان مجرد رقم، مجرد جسد يُنقل من غرفة إلى غرفة، من

وصفة دواء إلى عملية، دون أن يُعامل ككائن حي له كرامة وله عقل.

إن استهداف الصحة لا يأتي عبثًا، بل هو جزء من خطة عميقة تُدار على مستوى الشعوب، لأن الشعب الذي يُنهك جسديًا، ويُستنزف نفسيًا، يصبح بالضرورة ضعيف الإرادة، مستنزف العقل، عاجزًا عن التفكير السليم أو المقاومة، ولا يمكن له أن ينهض أو يحلم بالتغيير. العدو الحقيقي لا يضربك بالسلاح بل يضرب فيك القدرة على المقاومة، ومن هنا يبدأ بالجسد. وقد رأينا ذلك جليًا في قضية لقاحات كورونا، التي رغم ما قيل عن ضرورتها، فجّرت تساؤلات مشروعة حول آثارها الجانبية، والتدهور الصحي الملحوظ بعد مرحلة التطعيم، وقد سمعنا كثيرًا من المواطنين يشتكون بأن صحتهم تراجعت بعدها، بشهاداتهم، لا من باب الخوف أو الوهم بل من واقع معايشة، وكان هذا الأمر بمثابة تعزيز لما قلته في كتابي، أن ثمة جهة ما مستفيدة من هذا التدهور،

جهة تسعى لإضعافنا من الداخل، دون أن تطلق رصاصة واحدة.

ثم جاءت القشة التي قسمت ظهر الصمت، حين استمعت لقصة فياض الكندي التي نُشرت على اليوتيوب، وهو مواطن عماني تعرض لخطأ طبي مروّع، خطأ كلفه الكثير نفسيًا وجسديًا، لكنه كشف لي عن بعد آخر لهذه المنظومة، لأن السؤال الذي ظل يؤرقني بعد سماع قصته لم يكن كيف حدث الخطأ، بل من المستفيد من الخطأ؟ فلو تأملنا في المسألة جيدًا، سنجد أن وزارة الصحة نفسها خرجت خاسرة، لأنها اضطرت لتحمل تكاليف العلاج الكامل في الخارج وتحملت عبء تبعات القضية إنسانيًا وماليًا وإعلاميًا، فلم تكن هي المستفيدة، بل كانت ضحية مثلنا، فمَن هو الطرف الخفي الذي استفاد؟

وهنا استدعيت من ذاكرتي واحدة من أبرز قضايا الفساد التي انفجرت قبل سنوات في قطاع النفط والغاز، والتي أثبت فيها الغيورون من أبناء الوطن أن هناك أفرادًا من الجاليات الوافدة كانوا يتعمدون افتعال مشاكل تقنية وهندسية متكررة داخل المنشآت من أجل خلق ساعات عمل إضافية "لوفر تايم"، يحصلون فيها على مبالغ إضافية بذرائع الأعطال والإصلاحات. لقد كانت مؤامرة اقتصادية ناعمة، لكنها ممنهجة. واليوم، أطرح سؤالًا حرجًا ومشروعًا: هل من الممكن أن تنتقل هذه العقلية إلى القطاع الصحي؟ هل يمكن أن تكون بعض الأخطاء الطبية جزءًا من افتعال متعمد لتحقيق مكاسب معينة، سواء على مستوى الشخص، أو على مستوى الدولة التي يتم تحويل المريض إليها للعلاج؟

إن خطأً طبيًا مثل الذي وقع فيه فياض، لم يستفد منه أي طرف عماني، بل كانت الدولة التي سافر إليها للعلاج هي المستفيدة المباشرة، فهي التي تقاضت

الأموال واستفادت من التحويلات المالية، وربما استفاد منها مستشفى خاص أو جراح وافد يعمل هنا وهناك، وإذا كنا نعلم أن أغلب من يعملون في غرف العمليات والإجراءات الحرجة هم من جنسيات وافدة، فإننا نسأل: هل كان الطبيب المسؤول عن خطأ فياض وافدًا؟ هل كان يعلم بنتائج فعله؟ هل الخطأ مجرد إهمال، أم هناك احتمال آخر يجب ألّا يُستبعد، وهو أن يكون الخطأ مفتعلًا؟

لست ممن يلقون التهم جزافًا، ولكن ما يجعل هذه التساؤلات حقيقية هو كمّ القصص التي تتكرر يوميًا: مواطنون يخضعون لعمليات دون داعٍ، أدوية توصف دون تشخيص دقيق، أمراض نفسية تزداد في المجتمع بشكل مرعب، وشكاوى لا تنتهي من تدهور الرعاية الطبية الأساسية. بل الأخطر من ذلك هو أن الكثير من هذه الحالات يتم تبريرها بمنتهى البرود الإداري، دون رغبة حقيقية في التحقيق أو الوقوف على الحقيقة. في ظل هذا الوضع، يجب أن نسأل، بكل

جرأة: هل هناك أطراف تتحكم بجسد الأمة العمانية، لتحكم بعد ذلك بعقلها ومصيرها؟

من يمرض جسد شعب، يضعف تفكيره، ويكسر روحه، ويجعله تابعًا، مرتهنًا للعلاج، للدواء، للمستشفى، لا يفكر إلا كيف يتعافى، ولا يجرؤ أن يسأل لماذا مرض. ولأن العقل السليم في الجسم السليم، فمن يتحكم بجسم الأمة هو فعليًا يتحكم بمستقبلها، بتعليمها، بقراراتها، بثقافتها، بكل ما يمثل سيادتها واستقلالها.

وفي خضم هذا المشهد المعقد، تبرز مسألة بالغة الخطورة لا تقل أهمية عن الأخطاء الطبية أو التلاعب بالإجراءات، وهي حرب المعلومة. فالطبيب لا يعمل في فراغ، بل يستند في قراراته إلى ما يتلقاه من تعليم وتدريب ومراجع وأبحاث، وهنا مكمن الخطر. إذ ليس من المستبعد أن تكون بعض المعلومات الطبية المتداولة في بيئة العمل الصحي، سواء في التشخيص أو في وصف العلاجات، قد تم

تمريرها بطريقة ممنهجة ضمن مخطط أوسع للسيطرة غير المباشرة على القطاع الصحي. ولعل الأكثر خطورة أن الطبيب العماني، ببراءته وحرصه على أداء عمله، قد يكون قد استند دون وعي إلى توجيهات أو بروتوكولات وضعها طبيب أو مستشار وافد، دون أن يتحقق من مصدرها أو خلفياتها. وهذه الثغرة المعرفية، إن لم تُعالج، ستكون مدخلًا خطيرًا لتوجيه قرارات الأطباء والسياسات الصحية برمّتها نحو أهداف لا تخدم مصلحة الوطن ولا صحة المواطن. لذا، لا بد من تقنين مصادر المعلومات الطبية والتحقق منها بعناية صارمة، وإنشاء مرجع وطني مستقل للمعرفة الصحية، خاضع لرقابة علمية وأمنية عالية الكفاءة، فالمعركة اليوم ليست فقط على الأرض، بل هي في العقول، والمعلومة التي يُغرس بها الطبيب قد تكون بداية انهيار، إن لم تُفلتر وتُراجع بعيون وطنية يقظة .

ولهذا، فإن المقترح الذي أرفعه اليوم، ليس مجرد فكرة، بل نداء وطني، يجب أن يصل بأسرع وقت

إلى الجهات الأمنية العليا في السلطنة، وعلى رأسها الأمن الداخلي، فالوطن لم يعد يحتمل التجاهل، والقطاع الصحي يجب أن يوضع تحت الرقابة الدقيقة، خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالكوادر الوافدة، والممارسات المتكررة التي باتت تُثير الريبة. لا بد من فتح ملفات الأخطاء الطبية، لا بد من تتبع مسارات العلاج الخارجي وأسباب التحويل، لا بد من مراقبة وصفات الأدوية وسلاسل الاستيراد. فالصحة الوطنية لم تعد شأنًا طبيًا فقط، بل أصبحت شأنًا أمنيا من الدرجة الأولى.

لا يجوز بعد اليوم أن نغض الطرف عن ما يحصل باسم العلاج، وأن نستمر في تصديق أن كل الأخطاء الطبية بريئة، أو أن كل سوء تشخيص هو نتيجة ضغط العمل. لأن تكرار الأخطاء وتعميمها، يعني أن هناك نمطًا، والنمط يعني أن هناك يدًا، واليد تعني أن هناك عقلًا يدبّر في الخفاء.

لقد آن الأوان أن ننتقل من التساؤل إلى التحقيق، ومن الظن إلى الفعل، ومن التنظير إلى حماية الوطن فعليًا، فالصحة ليست ترفًا، بل هي أول أسس السيادة، ومن أراد أن يُخضع شعبًا، فليبدأ بتدمير جهازه المناعي، وتركه يتألم بصمت. لكننا اليوم نكسر هذا الصمت، ونقول: لن نصمت بعد اليوم.

الحرب الخفية:هل أمننا الخليجي مخترق؟

الموساد، هذا الجهاز الذي اعتدنا تخيّله شبحًا بعيدًا، صار يقف في منتصف الصورة. لا أحد يسأل كيف استطاع أن يخترق دولًا بحجم إيران واليمن، كيف أسقط علماء الذرة الإيرانيين في شوارع طهران، وكيف وصل إلى أعلى المستويات، واغتال من اغتال، لا بالقنابل بل بالمعلومة، بموقع خائن في جهاز حاسوب، أو بمكالمة عبر شخص يدّعي الولاء. اغتيالاتٌ نوعية، لا ينجزها جنود، بل يخطط لها موظفون، يسقطون القادة برأس إبرة لا بصاروخ، باسم الثقة لا العداء، باسم "الخبرة" لا الخيانة .

كيف استطاع جهاز استخباراتي واحد أن يتسلل إلى قلب طهران ويغتال علماء الذرة في وضح النهار؟

كيف وصلت أصابعه إلى العقول التي تحرك الصواريخ، وإلى الأنظمة التي تخطط؟

إنها ليست قنابل، إنها معلومات.

معلومات سلّمها من يدّعون الولاء.

من لبسوا ثياب الثورة ورفعوا شعارات الصمود، ثم باعوا الوطن مقابل وعد بالإقامة في مكان آخر أو حساب في بنك لا يُسأل عن مصدر المال.

أما اليمن، فقد دخلها الموساد لا كجندي، بل كزارع.

كباحث، كمهندس، كمشروع تنموي.

لكن الزرع لم يكن زرعًا حقيقيًا، بل آفات.

أمراض نباتية لم تعرفها الأرض اليمنية من قبل، انتشرت فجأة، لا لسبب مناخي، بل لسبب استخباراتي.

قلّت المساحات الزراعية، جفّت العيون، وسُرّبت عبر شركات دخيلة بذورٌ مُعالجة بمركبات تمنع الإثمار أو تنقل الأمراض.

لم يكن الهدف اليمن فقط، بل العمق الجغرافي كله، حتى أن هذه السموم وصلت عبر الحشرات، الغربان مثلًا، التي تم إدخالها بكثافة غير طبيعية، فتكاثرت واحتلّت عدن كأنها عدوٌّ صغير يحمل ظلال طائرات بلا طيار، ولولا تحرك بعض دول الخليج للسيطرة

عليها، لكانت اليوم على أطراف ظفار، وربما في قلب عمان.

ومن قال إن الخطر توقف هناك؟

إن ما جرى ليس قصة من الماضي، بل مشهد من المستقبل.

إذا كان اختراق إيران واليمن، بكل تعقيداتهما، قد تم بهذا الهدوء... فما الذي يمنع أن يُعاد المشهد في قلب الخليج؟

ما الذي يضمن ألا يكون في القطاع الصحي من يعبث بأرقام الأمراض، من يراقب إحصائيات الولادات، من يهمس بتحليلٍ كاذب يُربك قرارًا؟

من يضمن أن لا يكون في التربية والتعليم من يعبث بالعقول؟ من يُدخل الإلحاد لا عبر كتب الفلسفة بل عبر أسئلةٍ صغيرة تُشكّك وتُفرغ كل يقين من معناه؟

لكن السؤال الأشد إزعاجًا ليس كيف فعلوا، بل كيف لم نرَ؟

بل الأدهى: لماذا لم نفعل مثلهم؟

لماذا لا نسمع عن عملاء لنا هناك؟

لماذا الشر وحده يتكاثر في أرضنا ولا نحمل بعضًا منه لأرضهم؟

هل نُولد طيبين إلى حد السذاجة؟

هل كُتب علينا فقط أن نكون الطرف المُخترق لا المُخترِق؟

هل هو القدر، أم هو فشل في تأسيس منظومات أمن داخلي تفهم أن المعركة الآن ليست على الحدود بل في العقول والقطاعات والوظائف المفصلية؟

وإن كنا نعرف، أو نشك، أن لوبيات كبرى مثل اللوبي الهندي – الذي أثبتت كثير من الوثائق ارتباطه بالموساد – بدأت تتمدد في مفاصل الاقتصاد

الخليجي، فمن يراجع العقود؟ من يسأل من يقف خلف هذه الشركات؟ ومن يطلب كشوفات الموظفين الأجانب في القطاعات الحساسة؟ من الذي سمح لهم بالوصول إلى قواعد البيانات، إلى شبكات الطاقة، إلى ملفات التعليم والصحة والتقنية؟ من يضمن أنهم لا يُرسّخون سياسات ناعمة تخدمهم وتُضعفنا، من خلال تعديل منهج هنا، أو تسريب معلومة هناك، أو نشر فكرة سامة كأنها تحديث إداري بريء؟

ثم من يربط هذه الأسئلة جميعًا بواقع نشهده كل يوم؟

من يربط ازدياد حالات الانتحار في مدارسنا، وتصاعد موجات الإلحاد، وانهيار الثقة بين الطالب والهوية، بهذه التدخلات؟

من يربط إرتفاع أعداد الأمراض النفسية بين طلاب جامعاتنا ،وبين إنخفاض وقلة أعداد المواليد سنويا؟

من يربط بين هذا كله، وبين السموم التي تدخل بلداننا عن طريق لقاحات وأدوية نفسية وأغذية ومكونات كيميائية؟ !

من يقول إن الأمر ليس مصادفة، بل عملية تفريغ صامتة تجري منذ سنين؟

هؤلاء لا يُرسلون قنابل، بل يُرسلون برامج تعليمية، يزرعونها في مناهجنا كما زرعوا الآفات في اليمن.

نحن لا نتحدث عن خيال.

نحن أمام واقعٍ حقيقي، يطلّ من خلف القنوات المموّلة، ومن داخل التطبيقات، ومن بين دفاتر التعليم، ومن خلف أبواب المكاتب الحكومية.

ثمة طابور خامس لا يلبس لباسًا موحّدًا، ولا يرفع شعارًا، لكنه موجود، ويعمل.

فهل نحن نُفرز؟

هل لدينا ما يكفي من العيون، لا العيون التي ترصد حركة الناس في الأسواق، بل التي ترصد حركة "الأفكار" داخل المؤسسات؟

هل لدينا من يسأل: من سمح لهذا البرنامج التربوي بالدخول؟ ومن وافق على استيراد هذه البذور؟ ومن وافق على هذا العقد في قطاع الصحة؟

من يفتح ملفًا ولا يغلقه لمجرد أن صاحبه ذو منصب رفيع أو "مستشار أجنبي" لا يُسأل؟

يصنعون عدواً جديداً لا تراه: فكرة، أو إحساساً بالعجز، أو قناعة بأنه لا جدوى من المقاومة.

إن لم نُراجع أنفسنا الآن، إن لم نفرز مؤسساتنا واحدًا واحدًا، من الداخل لا من الخارج، إن لم نسأل كل شخص: لمن تعمل؟ لا ماذا تعمل، إن لم نفتح ملفات الصحة والتعليم والزراعة والاقتصاد بتوجس، لا بطمأنينة، فسنعيد الخطأ نفسه.

وسيكون العدو أمامنا، لكنه يلبس هويتنا، ويُصلي معنا، ويبتسم باسم الوطن، بينما يُرسل كل شيء إلى هناك... إلى تل أبيب أو إلى واشنطن.

المؤامرة لم تعد مؤامرة.

المؤامرة صارت واقعًا، ونحن ما زلنا نسمّيها "شكوكًا" و"أحاديث مجالس."

لكن البلاد لا تُحمى بالنوايا، ولا تُصان بالخطابات، بل بجنود من نوع آخر، جنود لا يحملون السلاح، بل يحملون القدرة على كشف من لا يجب أن يكون بيننا.

ولأن الحرب لم تعد حرب مدافع، بل حرب مزارعين، ومعلمين، ومبرمجين، وموظفي بريد، فواجبنا أن نعيد رسم مفهوم "الأمن"، لا كحاجز على الطريق، بل كشبكة يقظة خلف كل مكتب، وكل بريد إلكتروني، وكل عقد استثمار، وكل فكرة تُطرح في فصل دراسي.

العدو تغيّر.

لم يعد يأتي إلينا بالبارجة والسفينة والغارة الجوية، بل يأتي في زيّ صديق، في بريد إلكتروني، في شريحة صغيرة تُركّب داخل جهاز في مختبر مدرسة.

وإن لم نُدرك هذا الآن...

فسندركه لاحقًا، لكن بعد أن نكون نحن الأرض التي زُرع فيها الخراب، ونحن الذين سقيناه، ونحن الذين قلنا باطمئنان: لا داعي للقلق، كل شيء تحت السيطرة.

لكن الحقيقة؟

لا شيء تحت السيطرة... إن لم نُسيطر من الداخل أولًا.

والمعركة الحقيقية تبدأ حين نفهم أن أشد الأعداء خطرًا هو من يجعلنا نظن أننا لسنا في خطر

وإذا لم نتحرك الآن... فسنفيق ذات صباح، لا لنجد العدو في أطرافنا، بل لنكتشف أنه نام طويلًا في قلبنا، وعشنا معه، وابتسمنا له، وسلمنا له مفاتيحنا... ونحن نظن أننا آمنون.

الحرب النفسية:آداة لابد من استغلالها في الصراع الحالي

في خضم الصراع المتصاعد بين قوى الخير، التي تتجلى في محور المقاومة وفي طليعته الجمهورية الإسلامية في إيران، وبين قوى الهيمنة العالمية التي تمثّلها الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني، تتخذ المواجهة طابعًا يتجاوز ميادين القتال التقليدي. فبينما يحتدم النزاع على الأرض، تشتعل جبهة موازية لا تقلّ خطورة، وهي جبهة الحرب النفسية والمعنوية، التي تهدف إلى تفتيت الجبهة الداخلية للأمة الإسلامية وتشتيت صفوفها. هذه الحرب تستند إلى تأجيج النعرات المذهبية وإحياء الخلافات القديمة، واجترار أحداث تاريخية تجاوزها الزمن، لتغدو أداة لبث الفرقة وزرع الشك والريبة بين الشعوب المسلمة. وهكذا، يُستبدل السلاح المادي بسلاح الكلمة، ويُستغل التنوع المذهبي كسلاح لهدم الوحدة، في محاولة يائسة لمنع الأمة من التوحد حول قضاياها المركزية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية ومقاومة الاحتلال والظلم العالمي.

كل عاقل يدرك الآن ،أن الحرب التي تدار خلف الشاشات حاليا، هي ليست حرب البنادق والرشاشات ،بل حرب العقل والعاطفة ،والتي تسمى بالحرب النفسية. فالحرب النفسية هي حرب إرادة ضد إرادة، وعقل ضد عقل، وليس حرب جسد ضد جسد. فالله تعالى يقول :"وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة".لكن العجيب في هذه الآية، الدقة العظيمة في السرد، فهي أجملت ما نحتاجه في كل حروبنا بالقوة، ولعل كثير من السطحيين، كانوا يظنون بعقولهم البسيطة ،أو كما حاولوا أن يوهمونا ،أن القوة هنا، هي القوة المادية فقط، لذلك تنفق جيشوهم المليارات من أجل التصدي للغزو والحرب ،لكن نسوا أو تناسوا قوة أخرى، لمح لها القرآن الكريم في الآية التي بعدها ،بقوله :"ترهبون". فالقوى ليست مادية فقط ،بل هناك قوى معنوية ،وهي قوة العزيمة وقوة العقل والفكر. فالسؤال الذي يطرح هنا:ماذا أعددنا لهذه القوة ؟

والحرب النفسية أسلوب قديم جدا ،ومن قدمه يشاع أنه حتى الأسكندر المقدوني استخدمه في جيشه، لبث

الرعب في صفوف أعدائه ،فكان يصنع دروع وسيوف وخوذات ضخمة ،ويتركها خلفه في المعركة، فعندما يرى العدو ضخامة هذه الأدوات ،كان يظن أن الجيش يمتلك عمالقة يحاربون معه ،فيمتنعون عن ملاحقة جيش الأسكندر.واستخدمت أمريكا ما يقارب 1262 عالما نفسيا في حربها العالمية الثانية ،حسب ما ذكر في كتاب الحرب النفسية والطابور الخامس للمؤلف رمزي المنياوي .

فالملاحظ الذي نلاحظه في هذه الحرب النفسية على الأمة،أن العدو يبث أفكاره المسمومة والمغلوطة ،ودعاياه السوداء كثيرا ،لكن الأمة مشغولة جدا بالدفاع، ولم ننتقل لمرحلة الهجوم ،التي لا نجيدها حاليا، رغم كثافة المسلمين السكانية التي تقارب المليارين مسلم في العالم. ومن ضمن خطط الهجوم ،لابد أن تأتي خطوة مهمة جدا ،وهي خطوة تعرية هذه الحروب ،وكشف أدواتها وأساليبها ،والتأكيد على ضرورة التسلح بالمعرفة والعلم والعقل والفهم من

أجل مواجهتها، فليست الحصانة النفسية فقط هي الأسلوب ،بل الحصانة المعرفية أيضا.

ومن ضمن أساليب الحرب النفسية التي فاشت في دولنا وعلى منصاتنا خاصة ،هي الدعاية السوداء، والدعاية السوداء هي كل دعاية غرضها أسود كاسمها ،ومصدرها أسود من اسمها، وهدفها ومن يديرها أحلك من هذا كله. وقد انتشرت كثيرا ،في مواقع التواصل، ولابد من تنبيه الأمة والشعب عليها ،ليدركوا خطرها ويحترزوا منها ،وينتقلون لمرحلة الهجوم وليس التصدي لها فقط.

ومن باب تعريتها، لابد من التركيز على أهم ملامح هذه الدعاية السوداء وهي التالي:

أولا:مصدرها غير موثوق وخاصة حسابات وهمية أو معرفات غير محددة، أو أشخاص نكرات مجهولين ،وثانيا :تأتي من أكثر من حساب يشتركون نفس الموضوع ،فكلما زادت عدد الحسابات التي تتحدث عن الموضوع بأسلوب الدعاية السوداء ،زاد تصديق الناس لهذا الموضوع وزاد تقبلهم له ،لذلك يعتمد

هؤلاء على عنصر التكرار لترسيخ الفكرة،ومن سماتها أيضا أنها تأتي وقت الحروب والأزمات والمواضيع الساخنة الحادة ،لتثير الجدل أو تشعل نار الفرقة والخلاف ،ويكون هدفها واضح من خلال الردود التي تأتي عليها، ومدى تأثيرها في الناس ،فغالبا المواضيع التي تثير الناس للردود العنيفة والغاضبة ،هي مواضيع تتبع للدعاية السوداء وخاصة فيما يتعلق بإغتيال القادة العسكريين والعلماء المتميزين للتشكيك من جدوى المقاومة والطعن فيها،ورابعا من أهم صفاتها التي تميزها أنها تحتوي على مغالطات منطقية أو تحاليل غير علمية ،يدركها فقط من تسلح بالوعي والفهم والثقافة ،وهنا يبرز دور هؤلاء المحللين في التصدي لها.

خامسا:من العلامات التي تعرف بها هذه الدعاية السوداء أنها تخدم جهة معينة ،وتشوه صورة جهة أخرى ،كما تمتاز أيضا بالعاطفية والقدرة على تحريك المشاعر والأحاسيس والتلاعب بهما جيدا.

لكن السؤال الذي يحيرني بهذا كل هذا العرض، هو إذا لم يتوقف الخصم من بث هذه الدعاية السوداء على حسابنا، ألا يجوز أن نستخدم نفس الأسلوب والقوة بالدعاية السوداء هذه ،لكسر عزيمته ومعنوياته ،وكسر إرادته وشلها ،وما مدى مشروعيتها كأداة نستخدمها للهجوم بدل الدفاع المستمر ،وخاصة أن الأمة في حالة حرب الآن مع أقطاب كثيرة من النسوية و الإلحاد والشذوذ؟والحرب العظمى على المسجد الأقصى وقضية فلسطين الأبية ،التي نجابه فيها قوى شريرة كثيرة تتزعمها أقطاب عالمية مثل فرنسا وأمريكا وبريطانيا .

في الختام، لابد من التأكيد على أهمية وضرورة الوعي للتصدي لهذه الحرب ،بكل وسائلها وطرقها ،ولا يكون ذلك إلا بالحصانة النفسية وتنميتها بجانب الحصانة العقلية الأهم أيضا. وهذا ما يجب غرسه في أبنائنا ،فهل نحن مستعدون لذلك ؟

الملح والجن:هل كذبوا علينا؟

من المعتقدات الشعبية التي ما زالت منتشرة في العديد من الثقافات، خاصة في المجتمعات الشرقية، فكرة أن الملح يطرد الجن، ويُستخدم غالبًا في طقوس الرقية والتطهير وكسلاح روحي يُعتقد أنه يحارب الكائنات غير المرئية ويقي الإنسان من الأذى الروحي. ولكن في ضوء المعرفة العلمية الحديثة، يمكننا النظر إلى هذا الاعتقاد من زاوية أخرى تمامًا، تجمع بين الموروث الشعبي والتفسير البيولوجي العميق، لنفهم كيف يمكن للعلم أن يفسر السلوك البشري والمعتقدات التي نشأت نتيجة لسوء الفهم أو لغياب المعلومات الطبية الدقيقة.

الملح، كما نعلم، لا يحتوي بطبيعته على اليود، لكن تم تعزيزه باليود صناعيًا في كثير من الدول، لتجنب الأمراض المرتبطة بنقص هذا العنصر الضروري، وهو ما يسمى بالملح المدعّم باليود. اليود هو عنصر نادر في الطبيعة، لكن له دور بالغ الأهمية في الجسم

البشري، لأنه يدخل في تركيب هرمونات الغدة الدرقية، وأهمها هرمون الثيروكسين(T4) ، والذي يُفرز من الغدة الدرقية الواقعة في مقدمة الرقبة. هذه الهرمونات تتحكم بمعدلات التمثيل الغذائي في الجسم، وتنظيم الطاقة، ودرجة حرارة الجسم، والنشاط العقلي والعاطفي للإنسان.

عندما يكون هناك نقص في اليود، تقل قدرة الغدة الدرقية على إفراز هرمون الثيروكسين، مما يؤدي إلى حالة مرضية تُعرف باسم قصور الغدة الدرقية. من أبرز أعراض هذه الحالة التعب العام، الخمول، البطء في التفكير، الاكتئاب، الانطواء، ضعف الذاكرة، وانعدام الحافز. هذه الأعراض النفسية والعقلية يمكن أن تكون شديدة إلى درجة تُفسر من قِبل غير المختصين بأنها مسّ أو تأثير خارجي من قوى غير مرئية كالجن، خاصة في البيئات التي لا يتوفر فيها الوعي الصحي الكافي. وهذا هو منشأ الربط الشعبي بين حالات الاكتئاب أو العزلة وبين

"الجن"، وهو ربط نابع من الحاجة إلى تفسير سلوكي لحالات معقدة، في غياب المعرفة الطبية الدقيقة.

في هذا السياق، يأتي دور الملح. حين يُستخدم الملح المدعّم باليود في طعام الشخص المصاب بنقص اليود، فإن الجسم يبدأ في استعادة توازنه الهرموني، فتعود مستويات الثيروكسين إلى طبيعتها تدريجيًا، وتتحسن بذلك الحالة النفسية. الشخص يشعر بحيوية أكثر، تختفي مشاعر الحزن، ويستعيد نشاطه العقلي وقدرته على التفاعل الاجتماعي. هذا التحسن يُمكن أن يُفسّر خطأً، في العقل الشعبي، على أنه نتيجة "طرد الجن" باستخدام الملح، بينما الحقيقة أن التحسن نتج عن آلية بيولوجية دقيقة ترتبط بتصحيح خلل هرموني ناتج عن نقص عنصر اليود.

إذاً، ما يبدو ظاهريًا كأنه نتيجة لطقس روحي أو خرافة، له تفسير علمي دقيق، ويكشف عن الفجوة بين

الموروث الشعبي والتفسير الطبي. هذه الخرافة، في حقيقتها، تعكس محاولة بدائية لفهم ما لم يكن مفهوماً، وتستند على ملاحظة أثر حقيقي (تحسن مزاج الشخص بعد استخدام الملح) ولكن مع إسقاط تفسير غير دقيق عليه (طرد الجن.(

وهذا يُبرز أهمية التثقيف الصحي، ونشر الوعي حول التغذية وعلاقتها بالحالة النفسية والهرمونية للإنسان. فبدلاً من أن نُعزي الاكتئاب والخمول والانعزال إلى الجن والسحر، يجب أن نبحث عن الأسباب العضوية، مثل فقر التغذية أو اضطرابات الغدد، وأن نُعيد تفسير السلوك الإنساني من منظور علمي شامل، يجمع بين النفس والجسد والكيمياء الحيوية. الملح لا يطرد الجن، ولكنه عندما يكون مدعّمًا باليود، قد يساهم بشكل غير مباشر في رفع المزاج وتحسين الحالة النفسية عبر دعم وظيفة الغدة الدرقية، وهنا تكمن الحقيقة العلمية التي يمكن أن تُعيد تشكيل نظرتنا

إلى الأساطير والمعتقدات الشعبية من منظور حديث، عقلاني، وداعم للصحة النفسية.

لماذا لا يكون الساحر سمينا؟

لماذا لا يكون الساحر سمينًا؟ سؤال قد يبدو ساخرًا لأول وهلة، لكن حين نتأمله بعين فاحصة نجده مفتاحًا لفهم أعمق لنمط حياة معين، لعلاقة الجسد بالروح، وللحدود الدقيقة بين العبقرية والجنون، بين الزهد والهوس، بين السحر والهذيان.

صورة الساحر النحيف لا تأتي من فراغ، بل هي خلاصة تجربة طويلة ومتراكمة، من القصص والأساطير والتقاليد الروحية والتاريخية، وحتى الملاحظات النفسية العميقة. فشكسبير – وهو من أذكى من التقطوا تناقضات الطبيعة البشرية – يشير في مسرحياته، كما نُقل عنه في كتاب كيف يعمل العقل للمؤلفين بيرت وجونز وآخرين، إلى أن النحفاء "ذوو النظرة الجائعة، كثيرو التفكير، وهم في الغالب مصدر أذى وخطر"، بينما السمان "بشوشون، ميالون للنوم، كثيرو الكلام نهارًا". هذا التوصيف يفتح بابًا مهمًا في فهم علاقة النحافة بالمكر، والهدوء

بالغموض، والشر بالقسوة الجسدية على النفس.فهل يا ترى قد تكون الحالة الجسدية والمظهر الخارجي للشخص من سمنة ونحافة دليل على أخلاق الشخص وشخصيته كما في علم الفراسة المتعارف عند العرب قديما وتم دراسته علميا حديثا؟وهل بالإمكان أن نستدل على الساحر مثلا من شكله ،تطبيقا لهذه المقولة التي ذكرها شكسبير؟

فالساحر في العادة لا يعيش حياة متوازنة. لا يعرف الرفاه لأنه يَستهدِف ويُستهدف، لا يحب الأكل لأنه يجعله ينام ليلًا.والشياطين كما ذكرنا سابقا تكون في أقوى حالتها في ساعة الذئب ومنتصف الليل. وركزوا كثيرا على هذه. هو دائم التفكير، يسهر في العتمة، يجرب، يكتب، يراقب، يتأمل في الأسرار الكونية. وهذه العزلة المزمنة والحرمان المقصود تجعله بالضرورة نحيفًا، فليس لديه وقت ليأكل ولا نفس ليرتاح. من الناحية البيولوجية، هذه الحياة القاسية تعني مستويات مرتفعة من هرمونات التوتر مثل

الكورتيزول، التي تسهم في تآكل الكتلة العضلية، ونقص الشهية، وتؤدي في النهاية إلى جسم هزيل، مفرغ من الراحة، لكنه ممتلئ بالأفكار.

هذا النمط من العيش لا يقتصر على السحرة فحسب، بل يظهر كذلك في بعض الطرق الروحية، كالبوذية والصوفية،التي تتقاطع أحيانا مع السحر وطرقهم ووسائلهم ،طالما أن طريقهم متشابه. حيث تنتشر فكرة "الخلوة" بشكل لافت. هذه الخلوة ليست فقط عزلة اجتماعية، بل عزلة حسية وغذائية أيضًا، حيث يقضي الشخص أيامًا طويلة في صمت وتأمل دون طعام يُذكر، مكتفيًا أحيانًا ببضع تمرات وقليل من الماء. الهدف المعلن لهذه الخلوة هو تنقية النفس وبلوغ الصفاء، ولكنها في بعض التقاليد تُستَخدم أيضًا، كما في السحر، لتهيئة النفس "للتواصل مع الكائنات الأخرى".فما علاقة النحافة يا ترى بالتواصل مع الكائنات الأخرى؟وهل هي حقا دليل على وجود مس أو سحر في الشخص إذا كان نحيفا؟

وهل من الممكن أن تكون علامة على وجود عارض أو كونك أنت قد أخترقت هذه العوالم؟

هذا وقد كشف أحد السحرة السودانيين التائبين في مقابلة متداولة على يوتيوب، أنه قبل أن يتمكن من "استحضار الجن والشياطين"، كان لا بد له من الدخول في خلوة قاسية، لا يتناول فيها سوى القليل جدًا من التمر والماء. هذه العزلة والتجويع كانت شرطًا أساسيًا لما يسميه "فتح البصيرة" أو التواصل مع "العوالم الخفية". لكن هنا يأتي التفسير العلمي الذي يطرحه الدكتور هيثم طلعت، والذي يستند إلى فهم علم وظائف الأعضاء، حيث يشير إلى أن هذا التجويع الشديد لا يفتح البصيرة بقدر ما يُدخل الإنسان في مرحلة من الهذيان والهلوسة.

ففي حالة الجوع الطويل، ينخفض مستوى السكر في الدم بشكل حاد، وهو ما يؤدي إلى ضعف تروية

الدماغ بالطاقة، فيدخل الدماغ في حالة تُعرف طبيًا بالـ"Hypoglycemic hallucinations"، وهي حالة تصيب الإنسان برؤى وهلاوس وأصوات ليست حقيقية، لكنها تبدو واقعية جدًا لمن يعيشها. هنا تبدأ النفس المتعبة من الجوع ترى ما ليس له وجود، وتسمع ما ليس له صوت، وتفسر تلك المشاهدات بأنها "كائنات من عوالم أخرى"، في حين أنها ببساطة ناتجة عن اضطراب فيزيولوجي حاد في الدماغ.

وما يُظنّ تواصلاً مع الجن أو الأرواح في تلك اللحظة، لا يعدو كونه ارتجاجًا ذهنيًا بسبب نقص الغذاء، وليس فتحًا روحانيًا. بل إن كثيرًا من المشعوذين يستخدمون هذه التقنيات عن عمد، لأنهم يعرفون أنها تفكك الحاجز بين الواقع والخيال، وتدفع الإنسان إلى الإيمان الكامل بأي وهم يراه، وهنا يكون قد سقط في الفخ: فكرٌ مرهق، جسدٌ جائع، وعقلٌ بدأ يخلق واقعًا بديلًا.

وإذا جمعنا هذا كله، نجد أن النحافة ليست فقط سمة جسدية، بل حالة ذهنية ونفسية وروحية تلازم طريق السحر والزهد والخرافة في كثير من الثقافات. ليس لأن السمنة عائق، بل لأن الوصول إلى تلك الحالة من "التواصل غير المادي" يتطلب أولًا تخليًا جذريًا عن راحة الجسد، وهذا التخلي له ثمنه: جسد هش، عينان غائرتان، وبشرة شاحبة.

وهكذا، إذا رأيت ساحرًا سمينًا، فالأغلب أنه إما دجال لم يدخل الخلوة قط، أو أنه انقطع عن العمل وبدأ يأكل من ثمار شهرته. فالسحر لا يُمارس من خلف موائد الطعام، ولا ينسجم مع الكروش الممتلئة. السحر فنّ قائم على القسوة على النفس، على السهر، على التجويع، على الهذيان، حتى يصل الإنسان إلى تلك الحافة الدقيقة التي تفصل بين العالم المرئي وما يُظن أنه ما وراءه.

فربما لا يكون الساحر نحيفًا لأنه يريد ذلك، بل لأنه لا يستطيع أن يكون غير ذلك...

هل كان قارون خيميائيا؟

في خضم قراءاتي المتعمقة حول علوم الخيمياء الغامضة، وجدت نفسي أمام كتاب جميل لفت انتباهي من أولى صفحاته، وهو "الخيمياء" للكاتبة منال عبد الحميد. كتاب يفيض بالسرد المدهش عن نشأة الخيمياء، وأعلامها، وأسرارها الغامضة التي ظلت لقرون تحير العقول وتثير الخيال، وربما تطل برأسها في غير المتوقع من المواضع، ومن بين هذه المواضع، قصة قارون، الثري المتجبر المذكور في القرآن الكريم. كطالبة في علم الكيمياء، وجدت في هذا التداخل بين الخيمياء القديمة والكيمياء الحديثة مساحة خصبة للتأمل، فالعلم الذي ندرسه اليوم داخل المعامل والجامعات، بصرامته العلمية ومنهجه التجريبي، ما هو إلا امتداد مهجَّن لذلك العلم الغامض الذي كان يسعى لتحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب، ولإنتاج إكسير الحياة، ولمعرفة سر الخلود والروح. ولكن ما علاقة هذا بقارون؟ في سورة القصص، وتحديدًا في الآية 28، يقول الله تعالى: "إِنَّ قَارُونَ

كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ". ثروة عظيمة، مفاتيحها وحدها تحتاج إلى جماعة من الرجال الأقوياء لحملها. من أين جاء قارون بهذه الكنوز الطائلة؟ وهل كانت ذهبًا فعليًا؟ وهل هناك صلة بين هذه الثروة وعلم الكيمياء أو الخيمياء كما أشار بعض المفسرين؟

في كتاب "الخيمياء"، تتحدث الكاتبة منال عبد الحميد عن هذا العلم العجيب الذي وُلد في رحم مصر القديمة، وترعرع بين معابد كهنة الفراعنة، قبل أن ينتقل إلى الحضارة الإسلامية، ومنها إلى أوروبا في العصور الوسطى. وتذكر أن أصل كلمة كيمياء كما أورد الخوارزمي في كتابه "مفاتيح العلوم" هو من الفعل العربي "كمي" بمعنى ستر وأخفى، وهي دلالة دقيقة تعكس طبيعة هذا العلم الغامض الذي ظل محاطًا بالأسرار والرموز والطلاسم. كان هدف الخيميائيين الأسمى هو تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، والوصول إلى حجر الفلاسفة وإكسير الخلود.

وعلى الرغم من أن الكيمياء الحديثة قد تخلت عن هذه الأوهام، فإنها لا تنكر فضل الخيمياء في وضع اللبنات الأولى لهذا العلم التجريبي. بالعودة إلى المفسرين، نجد إشارات مثيرة، فالطبرسي، والقرطبي، وابن كثير، والرازي، جميعهم تساءلوا عن مصدر كنوز قارون، ونقل القرطبي عن الوليد بن مروان أن قارون كان يعمل بالكيمياء، أي الخيمياء بمفهومها القديم، قبل أن تنفصل عنها الكيمياء الحديثة، أما في تفسير الضحاك وسعيد بن المسيب، فقد ورد أن سيدنا موسى عليه السلام قد أنزل عليه علم الكيمياء، فاقتسمه مع كل من ابن هارون ويوشع وقارون،حيث علم كل واحد منهم الثلث، فخدعهم قارون وجمع العلم لنفسه، وبدأ يحوّل النحاس والرصاص إلى ذهب، والآية التي تقول: "قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي" فُسّرت من قبل البعض على أن المقصود بـ"العلم" هنا هو علم الخيمياء الذي مكنه من صنع الثروات. ليس من المصادفة أن تدور قصة قارون وسيدنا موسى في

مصر القديمة، مهد علوم السحر والخيمياء، وكان الكهنة المصريون، وفق المؤرخين، هم أول من اشتغل بتحويل المعادن وصياغة الذهب وتقديسه، وليس ببعيد أن يكون قارون قد نهل من هذا المصدر، خصوصًا وأنه كان من علية القوم، ثم، هل يمكن تجاهل أن العجل الذهبي، الذي صنعه السامري لبني إسرائيل بعد خروجهم من مصر، كان أيضًا من ذهب؟ هل هناك خيط خفي يربط الذهب بـ"العلم المفقود" في تلك الحقبة؟ العلم الحديث يرى أن تحويل المعادن إلى ذهب غير ممكن إلا بطرق نووية باهظة ومحدودة، لا جدوى اقتصادية منها، فهل كان علم قارون مجرد أسطورة؟ أم أن هناك فعلاً أسرارًا مفقودة من الخيمياء لم تُكتشف بعد؟ وأين ذهبت ثروته؟ هل ابتلعتها الأرض فقط؟ أم أنها كانت رمزًا لعلم لا يجوز للبشرية امتلاكه دون مسؤولية؟ في بعض أحاديث آخر الزمان، يذكر أن المال سيفيض في آخر الزمن حتى لا يجد المرء من يقبل منه صدقة، هل يمكن أن يعاد اكتشاف الخيمياء؟ أو يُطوّر

علم ما قادر على استنساخ الذهب؟ قد لا نستطيع الجزم بحقيقة قارون كخيميائي، لكن الدلائل النصية والتاريخية والأسطورية تجعل هذا الطرح جديرًا بالتفكير، بل والبحث الأكاديمي الجاد، ففي عالم الخيمياء، لا توجد حدود واضحة بين العلم والسحر، بين الواقع والأسطورة، وبين الممكن والمستحيل، ولعل قارون كان بالفعل الخيميائي الأكبر الذي عرف السر، لكنه استخدمه في البغي لا في البناء، فخسف الله به وبدراهمه الأرض، وأبقى لنا قصة لا تزال تثير العقول وتلهب الخيال، فهل يعيد التاريخ نفسه؟ وهل يظهر قارون جديد في زمننا؟ وإن ظهر، فهل نكون نحن هذه المرة "مفاتيح" لفهم الحقيقة بدل أن نكون شهودًا على الخسف؟

لماذا كل الأنبياء رعوا الغنم؟

وأنا أطالع كتابًا عميقًا يحمل عنوان "الحياة مشاعر" للكاتب الدكتور أسامة عبدالرؤوف الجامع، وقفت مدهوشًا أمام مقطع علمي ثري، يربط بين النفس البشرية والحيوانات الأليفة، ويشرح بتوثيق علمي متين كيف أن التفاعل مع الحيوانات ليس مجرد هواية أو تسلية، بل ضرورة نفسية ووسيلة تربوية تُسهم في بناء الإنسان المتزن العاطفي والواعي اجتماعيًا.

فقد أشار الكاتب إلى دراسة نُشرت بتاريخ 9 يوليو 2012، قامت بها مجموعة من جامعات مرموقة في النمسا، وألمانيا، والسويد، ركزت على تأثير التفاعل مع الحيوانات الأليفة على الإنسان، لتخرج بنتائج مذهلة: العلاقة بالحيوانات تساعد على تخفيف الضغوط، تدعم الاستقرار المزاجي، وتُسهم في النمو الاجتماعي السليم.

ومن المثير أن الدراسة لم تكن استثناءً، فقد أكد الباحثان "نيكي" و"باردا" في مؤلف مستقل أن الأطفال الذين تربّوا في بيئة يوجد فيها حيوانات أليفة

اكتسبوا مهارات اجتماعية أعمق، وازداد شعورهم بالمسؤولية. أما "بورسكي" و"هاندرسك" فقد قدما ورقة علمية مفادها أن الاحتكاك بالحيوانات يعزز المهارات المعرفية للأطفال ويُسرّع من نضجهم العاطفي.

ولعل أقدم من لفت النظر إلى هذا الموضوع هو الطبيب النفسي "بوريس"، الذي اكتشف بالصدفة أن احتكاك الإنسان بالحيوان يُحدث تأثيرًا نفسيًا وعاطفيًا عميقًا، ليتحول هذا الاكتشاف العارض إلى مجال بحث علمي واسع النطاق، تفرعت منه دراسات تناولت تأثير الحيوانات على حالات مثل الاكتئاب، وطيف التوحد، وحتى على جهاز المناعة.

العامل المشترك بين هذه النتائج هو هرمون الأوكسيتوسين، المعروف بهرمون "الارتباط والدفء العاطفي"، والذي يفرز في لحظات الحميمية والطمأنينة، ويرتبط بالثقة والاسترخاء والاستقرار النفسي. المثير في الأمر أن مجرد التفاعل مع حيوان

أليف كفيل بتحفيز هذا الهرمون، مما يخلق توازنًا عاطفيًا لا يُستهان به

كل ذلك دفعني إلى استحضار حديث نبوي شريف لطالما أثار في نفسي تساؤلاً حائرًا، جاء فيه:

"ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم. فقالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة."

لماذا رعى كل الأنبياء الغنم؟ لماذا لم يأتِ واحدٌ منهم من بين التجار أو المزارعين أو الصناع؟ هذا الحديث الذي طالما نظرنا إليه كجانب من السيرة، بدأ يأخذ شكلاً جديدًا في ضوء هذه الحقائق العلمية الحديثة.

إن رعي الغنم ليس مجرد مهنة بدائية، بل هو تربية نفسية وتدريب سلوكي ونضج وجداني. فالرعاة يعيشون في هدوء الطبيعة، بعيدًا عن ضجيج المدن وتلوثها البصري والسمعي والنفسي. يتعاملون مع كائنات ضعيفة تحتاج إلى رحمة، وتجاوب، وانتباه

مستمر. الرعاية المستمرة تُنمّي الصبر، وتُهذّب الغضب، وتُعلّم القيادة.

إن الرُعاة يتعلمون كيف يكونون مسؤولين عن قطيع لا يتكلم، وكيف يحكمون سلوكهم لينالوا الطمأنينة والاحترام من الحيوانات التي يقودونها. وهذا تمامًا ما يحتاجه القائد: الحلم، الحكمة، والرعاية.

لكن الأكثر إثارة هو أن الابتعاد عن هذا النمط من الحياة، والتحوّل إلى المدن، والاكتفاء بالحياة الصناعية المحمومة، ربما كان من أسباب انتشار الاضطرابات النفسية في العصر الحديث. لقد انفصل الإنسان عن الحيوان، وعن الأرض، وعن الطبيعة، وفقد بذلك توازنه الداخلي.

الأنبياء عاشوا في حضن الطبيعة، تعلموا من بساطة الحياة، من همهمة الرياح في الوديان، ومن نظرة الخروف الصامتة، ومن مشاعر الرحمة التي يبثّها قلب راعٍ نحو قطيعه. وهذا يفسّر لماذا كان كل نبي راعيًا، ولماذا كان ذلك جزءًا من إعداده النفسي والروحي لحمل أعظم رسالة.

ليست مصادفة أن يجتمع الأنبياء في صفة واحدة رغم اختلاف أزمانهم وأقوامهم. رعي الغنم لم يكن مهنة، بل مدرسة. وما بين خروف يتيه في الصحراء وراعٍ يهدّئه بنداء، ومدينة صاخبة يعيش فيها الإنسان دون هدف أو سكينة، يكمن الفارق بين من يُعدّ لقيادة أمة، ومن يُستهلك في دوامة الحياة الحديثة.

ربما علينا أن نعيد النظر في علاقتنا بالطبيعة، بالحيوان، بالهدوء، لنفهم أنفسنا ونسترد عافيتنا النفسية... وربما كان في حياة الأنبياء، كما في حديثهم، من الحكمة ما يسبق الزمن والعلم.

كيف يخدع الدجالون؟

في عالم تغمره المعلومات وتتشابك فيه الأحداث، يجد الدجالون والمشعوذون بيئة مثالية لخداع الناس والتلاعب بعقولهم. لكن كيف يفعلون ذلك؟ كيف يمكن لإنسان أن يقنع آخرين بتنبؤات أو قدرات لا تستند إلى أي أساس منطقي أو علمي؟ يجيب الكاتب شادي عبدالحافظ في كتابه "الفتاة التي أنجبت أمها" عن هذا السؤال بذكاء وتحليل عميق، كاشفًا عن الحيل النفسية واللغوية التي يستخدمها هؤلاء الدجالون.

ما شدني لكتابة هذا المقال. هو تنبؤ الدجالة والعرافة اللبنانية ليلى عبد اللطيف في كأس الخليجي المنصرم، حيث تنبأت بأن هناك خبر مفرح لدولة خليجية ، وهي البحرين وستحتل مساحة إعلامية واسعة عبر الشاشات ووسائل الإعلام، بسبب أحداث مهمة جدة ولافتة، وسوف تشهد شوارع البحرين جماهير وحشودًا كبيرة

احتفالاً بحدث مميز .

ورغم أن هذا التصريح ليس تصريحها الوحيد، ورغم أن اللغة فضفاضة جدا ،فكيف ساعد كل هذا في خداعنا بالإهتمام بتنبؤاتها مما أثار فضول الناس كثيرا لمعرفة السر التي تستمد منه معلوماتها. وكيف جعل الناس يربطونه بفوز البحرين ،فور تأهلها مع سلطنة عمان للنهائي في كأس الخليج المنصرم. هنا في هذا المقال سينكشف كيف خدعونا ويخدعنا الدجالون .

من أكثر الطرق شيوعًا التي قرأتها أن يقوم المحتالون بنشر عشرات، بل مئات التنبؤات السياسية أو الاجتماعية دفعة واحدة، مثل القول بأن "الرئيس القادم سيُقتل في عامه الثالث"، أو "ستسقط الحكومة في العام الثاني"، أو أن "سيدة من المعارضة ستتولى الحكم"، ثم ينتظرون الزمن. من بين كل هذه التنبؤات، قد يتحقق واحد فقط، وهنا يبرزون هذا التوقع أمام الناس وكأنه معجزة أو علامة على قدرتهم الخارقة، بينما يتجاهلون تمامًا بقية التوقعات الخاطئة التي لا تُذكر. بهذه الطريقة يخدعون الجمهور،

ويوهمونه بأنهم يملكون بصيرة أو حنكة سياسية أو قدرة على قراءة المستقبل، رغم أن كل ما فعلوه هو استغلال بسيط لنظرية الاحتمالات. فكل ما هو مطلوب فقط أن يتحقق احتمال ضئيل من بين مئات الاحتمالات، ليتحول صاحبه إلى نجم إعلامي جديد.وهذا ما حدث فعلا في نبؤة الدجالة ليلى عبداللطيف، فهي طرحت إعلاميا الكثير من التنبؤات، ولكن تم التأكيد على هذا فقط منها .

الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، بل يتعداه إلى طريقة استخدام اللغة نفسها. فعادة ما يكتب الدجالون تنبؤاتهم أو أقوالهم بلغة فضفاضة واسعة التأويل وهذا ما فعلته ليلى عبداللطيف في تصريحها،حيث تتحمل عددًا كبيرًا من الاحتمالات والتفسيرات. يكفي أن تلقي نظرة على منصات مثل "حظك اليوم" أو "برجك اليوم"، لتجد عبارات مثل "حب جديد اليوم"، أو "فرصة مالية قريبة"، وهي جمل عامة يمكن أن تنطبق على عشرات السيناريوهات، وكل شخص

يقرأها يفسرها بطريقته الخاصة وفقًا لظروفه، فيظن أن ما كُتب ينطبق عليه حرفيًا.

المشكلة الأكبر أن معظم ادعاءات هؤلاء لا تكون قابلة للتكذيب. فهي غير خاضعة لمبدأ "قابلية الدحض"، أي أنه لا يمكن اختبار صحتها علميًا. الدجال يقول لك "في المستقبل ستتلقى عرضًا يغير حياتك"، دون أن يحدد متى، أو كيف، أو من أين. وهنا يصبح من المستحيل إثبات صدق أو كذب هذا الادعاء، لأن العبارة غامضة وغير محددة، وتستعصي على التحليل العقلي والمنطقي. إنها لعبة تقوم على تجنب الدقة، لأن الدقة تعني إمكانية الخطأ، وهذا ما يهرب منه الدجال دائمًا.

.هذه هي طبيعة الدجل، مبنية على الخداع اللغوي، والغموض، واستغلال الثقة، وتجاهل كل أدوات التحقق العلمي والمنطقي.

الخدعة الكبرى إذًا ليست في ما يقوله الدجال، بل في كيفية قوله، وفي قدرتنا المحدودة أحيانًا على التمييز بين الصدفة والنبوة، بين الخيال والواقع، وبين الحدس

والكذب المنهجي. لذلك فإن مواجهتهم لا تكون بالسخرية فقط، بل بإعادة بناء وعينا النقدي، وتعلّم التفكير العلمي، ورفض كل ما لا يمكن اختباره أو التحقق من صدقه. لأن الحقيقة لا تحتاج إلى خدع، بينما الكذب دائمًا يرتدي ألف قناع.

لذلك في المرة القادمة ستكون على علم ووعي بتصاريحهم الكاذبة ووسائلهم المحتالة ،وستعرف كيف ترد عليهم، فقط يكفي أن تعرض لهم تنبؤاتهم التي قالوها ولم تتحقق. لتدرك أن النصب والإحتيال بإمكان أي أحد إتقانه إذا وجد الشخص المناسب ليستهدفه.

حينما يفيض الذهب

في زمنٍ تتسارع فيه الاكتشافات العلمية وتتغير فيه معايير القيمة والثروة، تعود كلمات النبي محمد صلى الله عليه وسلم لتقف أمامنا كمرآة غيبية تكشف لنا مستقبلًا غامضًا سبق وأُخبرنا به منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا. ففي الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحداً يأخذها منه"، حديث قد يبدو غريبًا لمن يقرؤه بسطحية، لكنه في حقيقته يحمل نبوءة اقتصادية وروحية مرعبة، مفادها أن المال سيكثر إلى حد لا يُطلب فيه، والذهب – الذي لطالما كان رمز الثراء والكنوز – سيصبح عديم القيمة، حتى في باب الصدقة.

واليوم، وبينما نظن أننا بلغنا ذروة التقدم، خرجت وكالة "ناسا" الأمريكية لتعلن عن اكتشاف قد يكون الأكثر إثارة في تاريخ البشرية: كويكب يُدعى

"سايكي (Psyche 16)16 "، يقع بين المريخ والمشتري، ويحتوي على كمية هائلة من المعادن النفيسة، وعلى رأسها الذهب، تقدر قيمتها بـ700 كوينتيليون دولار، أي رقم يعجز العقل عن تخيله. صحيفة "المسار" نشرت الخبر وأشارت إلى أن هذا الاكتشاف، إن أمكن استثماره مستقبلًا،عن طريق تمهيد الطريق علميا وفلكيا ولوجستيا ،حيث تمكن العلماء عن طريق مكوكاتهم الفضائية التوصل لهذا الذهب واستخراجه وإيصاله للأرض. فهذا قد يجعل من كل إنسان على وجه الأرض ملياردیرًا كما ذكر الخبر المنشور في الصحيفة عن وكالة ناسا، وهو ما يعيدنا مباشرة إلى الحديث النبوي ويثير تساؤلات مزلزلة: هل بدأت ملامح نبوءة الرسول تتحقق؟ هل نحن فعلاً على أعتاب زمنٍ تصبح فيه الثروة بلا معنى، ويطوف الناس بالذهب فلا يجدون من يحتاجه أو حتى يرغب فيه؟

الأمر لا يتوقف عند حدود الخيال العلمي أو التنقيب الفضائي، بل يمتد إلى بعدٍ دينيّ وأخلاقيّ خطير. لماذا اختار النبي صلى الله عليه وسلم الذهب والفضة تحديدًا في كثير من أحاديثه؟ لماذا لم يقل "المال" بشكل عام؟ هل في ذلك دلالة على أن الذهب سيبقى في وعي البشرية رمزًا للقيمة إلى آخر الزمان وأنه هو من سيكثر بالذات كما خصه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنه سيكون علامة فاصلة في تغير مفاهيم الغنى والفقر؟ في هذا السياق، تتضح حكمة التخصيص؛ فالذهب والفضة ليسا فقط عملة مادية بل رمزان لما يهواه الإنسان ويسعى خلفه منذ بدء الخليقة،وهو ما سيبقى وسيكثر في نهاية الزمن. وعندما يُسلب منهما معناهُما، يفقد العالم توازنه، ويحل الخلل في فطرة الناس وتقديرهم لما هو ثمين.

تخيل الآن عالمًا يستطيع فيه العلماء جلب الذهب من الكويكبات بسهولة، وتتوفر فيه المعادن النفيسة بكثرة تفوق العرض والطلب. ماذا سيحدث حينها؟ كيف

سيتعامل الاقتصاد العالمي مع هذه الوفرة؟ بل كيف ستتغير نظرة الإنسان نفسه إلى المال، إلى العمل، إلى الغاية؟ هل ستنهار الأسواق؟ هل ستفقد البشرية حافزها للبذل والاجتهاد؟ وماذا إن واكب ذلك الانهيار المادي انحدارٌ روحيّ ومعنويّ، فتعم الفوضى، وتكثر الفتن، وتتحقق باقي علامات آخر الزمان؟

كل تلك التساؤلات تنبثق من واقعة علمية واحدة، لكنها تفتح الباب نحو أفق الغيب الذي لم نعد نستبعد حدوثه، خاصة إذا ما علمنا أن مهمة "سايكي 16" الفعلية باتت واقعية، وأن "ناسا" أطلقت بالفعل مركبتها نحو الكويكب في أكتوبر 2023، وتخطط للوصول إليه بحلول عام 2029. هذا يعني أن الأمر لم يعد فكرة افتراضية، بل مشروع حقيقي قائم على أقدام العلم، لكن نتائجه قد تلامس التوقعات النبوية التي تنبأ بها من لا ينطق عن الهوى.

ربما نحن لا نزال في بدايات هذا الطريق، وربما لم نرَ بعدُ إلا قمة جبل الجليد من النبوءات التي تنتظر التحقيق. لكن الوقائع تتوالى، والعلم يركض، والعالم

يتغير بوتيرة قد تفاجئ البشرية كلها. والسؤال الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا بجدية وعمق: ماذا لو اقترب آخر الزمان فعلاً؟ هل نحن مستعدون لتلك المرحلة التي تتحقق فيها كل النبوءات، وتفقد الأشياء معانيها، ويبحث الناس عن الثبات فلا يجدونه إلا فيمن تمسك بالوحي وبكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

إنها لحظة تأمل، لا في مستقبل الذهب، بل في مصير الإنسان.

قضية الوافدة الصينية

شكرًا لشرطة عمان السلطانية، هذا الجهاز الأمني

الذي أثبت مجددًا بأنه لا يغفل ولا ينام، مهما تنوعت أشكال التهديدات أو تبدلت وجوه الجريمة. بدءًا من الحملات الأمنية المكثفة التي شهدناها مؤخرًا في محافظة ظفار والتي أسفرت عن إلقاء القبض على وافدات امتهنّ المهن المخلة بالأدب في تحدٍّ سافر لقيم المجتمع العماني المحافظ، ووصولًا إلى القصة الأخطر والأكثر غموضًا حتى الآن، قصة الوافدة الصينية التي دخلت السلطنة بهدوء وذكاء ودون أن تثير أي شكوك، لتبدأ بعدها تنفيذ مخطط غريب ومثير للتساؤلات، تدرجت فيه من شراء أجهزة إلكترونية متقدمة إلى استخدامها في تنفيذ عمليات احتيال ونصب إلكتروني معقدة ضد عدد من المواطنين.

لكن ما يثير القلق فعليًا ويفتح أبواب الشك على مصراعيها هو أن مثل هذه الحادثة لا يمكن تصنيفها ضمن إطار الجرائم الفردية أو الاحتيالات العشوائية

فقط، بل توحي بوجود شبكة أكبر، وتنظيم أدق، وربما أهداف أخطر بكثير من مجرد سرقة الأموال. فالسؤال الذي يفرض نفسه هنا بإلحاح: لماذا عمان؟ ولماذا الآن تحديدًا؟ في هذا الوقت الذي تمر فيه السلطنة بظروف اقتصادية دقيقة تتمثل في شح الوظائف وتزايد أعداد المسرّحين والباحثين عن عمل، وارتفاع منسوب القلق الشعبي بشأن المستقبل، تظهر مثل هذه القضايا الحساسة لتزيد المشهد تعقيدًا.

من الصعب تصديق أن توقيت هذه الجرائم جاء صدفة، أو أن اختيار عمان كمسرح لهذا النوع من الاحتيال هو اختيار عشوائي. هناك أمر ما يدور في الخفاء، أمر يتجاوز حدود الاحتيال الإلكتروني ويقترب أكثر من العمل الاستخباراتي المنظم. فمن هذه السيدة الصينية؟ ومن يقف خلفها؟ ومن الذي زوّدها بالمعلومات الكافية لتتمكن من استهداف مواطنين عمانيين بهذه الدقة؟ هل كانت تعمل بمفردها أم أن هناك جهات خارجية تديرها وتوجهها؟ وهل

كان هدفها الحقيقي فقط المال، أم أنها كانت تبحث عن شيء آخر: بيانات؟ معلومات؟ اختراقات أمنية؟

أقترح هنا على شرطة عمان السلطانية أن لا تكتفي فقط بتتبع مسار هذه الوافدة ومعرفة مصدر الأجهزة التي استخدمتها، بل أن تفتح تحقيقًا أوسع وأعمق حول الفئات المستهدفة من قبلها، وتحليل طبيعة الضحايا، وأسباب اختيارهم تحديدًا. هل هناك نمط معين يجمع بينهم؟ هل هم من فئة عمرية واحدة؟ هل يعملون في مؤسسات معينة؟ هل كانوا مرتبطين بمواقع إلكترونية أو تطبيقات محددة؟ مثل هذه الأسئلة يجب أن تطرح لأنها ربما تكشف عن أن ما جرى لم يكن اختيارًا عشوائيًا، بل عملية مدروسة هدفها اختراق أمن المجتمع أو التأثير على استقراره الداخلي.

الأمر الذي يثير الرعب أكثر هو ما تم تداوله مؤخرًا حول وجود ثغرات في أنظمة الحماية لبعض الخوادم الإلكترونية التي تُدار بأيدٍ وافدة. هذا يعني أن هناك احتمالية قوية لأن تكون بيانات حساسة قد تم تسريبها

أو بيعها أو استغلالها من قبل جهات خارجية. فهل نحن أمام قضية تجسس من نوع رقمي؟ وهل هذه السيدة كانت مجرد أداة صغيرة في يد جهة أكبر تدير العملية من الخارج؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما مدى اختراق هذه الجهة؟ وهل لدينا جواسيس من أبناء الطابور الخامس يعيشون بيننا ويزوّدون العدو بالمعلومات؟ هل هناك من يسهّل لهذه الجهات الوصول إلى بيانات معينة؟ بل هل من الممكن أن يكون بين كل عشرة أرقام هواتف تم استهدافها، رقم أو رقمان فقط هما الهدف الحقيقي، في حين أن الأرقام الأخرى مجرد تغطية لعملية اختراق محددة ومقصودة؟

كل هذه الأسئلة تطرح نفسها بقوة، وليس من المبالغة أن نشك، فالحروب اليوم لم تعد تقليدية، ولم تعد تعتمد على السلاح والنار، بل أصبحت رقمية وخفية، تُشنّ من خلف الشاشات وبأدوات تبدو بريئة لكنها فتاكة. ما يجري الآن هو اختبار حقيقي لقدرات الدولة على رصد وملاحقة هذا النوع من التهديدات، وكذلك

اختبار لمدى وعي المواطنين بوسائل الحماية الرقمية وضرورة الحذر من عمليات الاختراق الإلكتروني التي قد تبدأ برسالة نصية وتنتهي بكارثة.

في الختام، نعيد التأكيد على أن هذه الحادثة لا يجب أن تُعالج كقضية نصب فردية فقط، بل يجب التعامل معها كحدث أمني خطير، يحمل في طياته الكثير من المؤشرات والدلالات على وجود تهديد من نوع جديد. فربما نحن بالفعل أمام شبكة تجسس، وربما هناك جواسيس يعيشون بيننا، يتكلمون لغتنا ويتظاهرون بالاندماج في مجتمعنا، بينما هم في الحقيقة عين للعدو وآذانه. علينا أن نبقى يقظين، وأن نثق في جهاز الشرطة، ولكن الأهم من ذلك أن نكون جزءًا من الحل، وأن نبلغ عن أي سلوك مشبوه، وأن نحمي بياناتنا ومعلوماتنا بوعي ومسؤولية. ففي هذا العصر، أصبح الأمن مسؤولية جماعية، وحماية الوطن تبدأ من يقظة كل مواطن.

عين شرضت نبع النبي أيوب

مع انطلاق موسم خريف صلالة هذا العام، يشهد جنوب عمان زخمًا غير مسبوق من الفعاليات السياحية والثقافية والترفيهية، وسط أجواء طبيعية ساحرة طالما جعلت من ظفار وجهة استثنائية في الخليج العربي.

وقد كشفت وزارة التراث والسياحة العمانية، في وقت مبكر من هذا العام، عن خطط موسعة لتحسين البنية التحتية، وتطوير التجارب السياحية، واستحداث برامج نوعية تجذب مختلف الفئات من الزوّار. فتم تعزيز خدمات الطرق، وتحديث مرافق الزوّار في المناطق الجبلية، إلى جانب تنويع الفعاليات الفنية والثقافية والتراثية.

ولا يخفى على أحد أن سلطنة عمان باتت تُقدّم موسم الخريف كمنتج وطني متكامل، لا يقتصر فقط على جمال الطبيعة وروعة الأجواء، بل يمتد ليشمل العمق التاريخي والهوية الثقافية للمنطقة.

وفي خضم هذا الزخم والاهتمام المتزايد، وجدت نفسي – كأحد المهتمين بهذا الإرث – أتهيأ هذا العام لزيارة ضريح النبي أيوب عليه السلام، الواقع على بعد نحو 25 كيلومترًا من مدينة صلالة. زيارة روحانية تحمل في طيّاتها إجلالًا لقصة عظيمة من الصبر والابتلاء والشفاء.

ارتبطت قصة النبي أيوب عليه السلام، في الذاكرة الدينية والشعبية، بالصبر الجميل على البلاء والمرض، وبمعجزة الشفاء الإلهي الذي جاء حين أمره الله: "اركض برجلك، هذا مغتسلٌ باردٌ وشراب"، فانفجرت عين ماء تحت قدميه، اغتسل منها وشرب، فكان الشفاء.

وتبعًا لعظمة هذه القصة، تعددت الروايات عن مكان وقوعها، وعن موقع قبر النبي أيوب عليه السلام، فتناقلت الشعوب مواقع مختلفة تُنسب إليه.

في العراق، يُقال إن ضريحه موجود في مدينة الشيوخ جنوب العراق، وهناك مقامٌ يُزار منذ قرون.

وفي بلاد الشام، يُنسب الضريح إلى مناطق متفرقة في سوريا، وتحديدًا في جبل الأربعين قرب مدينة إدلب، حيث توجد مزارع تُعرف باسم "مزار أيوب."

وفي فلسطين، وتحديدًا في مدينة الطور شرقي القدس، يوجد مقام صغير يعتقد البعض أنه قبره.

لكن في سلطنة عمان، وتحديدًا في منطقة جبلية خضراء على مقربة من صلالة، يقف الضريح الذي يُعتبر الأكثر شهرة وانتشارًا في الوعي المحلي والعربي، وتحفه عين ماء يقال إنها "عين شِرضت"، التي شرب منها النبي واغتسل، وكان الشفاء.

سواء اتفقت الروايات أو اختلفت، فإن جوهر القصة يبقى خالدًا... قصة إنسان صابر، ابتُلي فشكر، وشفاه الله بماء من الأرض.

وهنا في صلالة، تتجسد هذه القصة بين الطبيعة والمعنى، وتبقى "عين شِرضت" شاهدًا حيًا على أسطورة... ربما حان الوقت أن تتحول إلى حقيقة علمية تُدرس وتُحلل.

لكن ما أثار ذهني هذه المرة لم يكن فقط عظمة المكان، بل تساؤل بسيط يحمل في داخله بُعدًا علميًا وثقافيًا عميقًا:

إذا كان ضريح النبي أيوب عليه السلام هنا... وإذا كانت "عين شِرضت" هي النبع التي شرب منها واغتسل بأمر الله فشُفي من مرضه – فهل تم تحليل هذه المياه؟ وهل تأكد العلماء والمعنيون من خصائصها؟ وهل يمكن أن تحتوي على قدرات شفائية؟

هذا السؤال، الذي لطالما ظل محصورًا في الموروث الشعبي، يستحق – في ظل هذا الحراك السياحي والتنموي – أن يُطرح بجدية، لا لمجرد الإثبات أو النفي، بل لفتح باب علمي جديد، قد يُكمل مسيرة السلطنة في تقديم خريفها بشكل أوسع، وأعمق.

ماذا لو احتضنت جامعة ظفار أو إحدى الجهات البحثية مشروعًا لتحليل مكونات "عين شِرضت"؟

ماذا لو تم إشراك خبراء المياه والعلاج الطبيعي والأبحاث الكيميائية في هذا الجانب؟

ماذا لو اكتشفنا أن في تلك العين عناصر فريدة تستحق الدراسة والتوثيق؟

في عصورنا الحديثة، حيث يتقاطع العلم مع الإيمان، لم تعد هذه التساؤلات ضربًا من الخيال أو الخرافة. بل هي دعوة صريحة للعلماء، للباحثين، وللجهات المعنية في عمان، كي يتبنوا هذه القصة لا بوصفها موروثًا فحسب، بل كمشروع علمي يستحق الدراسة والتقصي.

فلربما نكتشف أن في هذه العين مكونات نادرة أو خصائص علاجية فريدة، تجعل منها مقصدًا طبيًا وسياحيًا كما حدث في بلدان أخرى مع عيون طبيعية مشابهة. وربما نثبت من خلال التحليل، أو ننفي، أسطورة لطالما حامت في وجداننا بين اليقين والاحتمال.

إن دمج البُعد العلمي مع السياحي والثقافي قد يُنتج قيمة مضافة كبيرة، لا لظفار وحدها، بل لعمان بأسرها. فكما نروي للزائر قصة النبي أيوب عليه السلام، يمكن أن نمنحه فرصة استكشاف بُعد علمي حقيقي لتلك المعجزة، في توازن جميل بين الإيمان والعقل، بين الموروث والاكتشاف.

فخريف صلالة ليس فقط موسم أمطار وغابات وضباب... بل هو فرصة، ومناسبة، ونافذة، لنروي قصصنا بطرق جديدة، ونخوض غمار العلم من بوابة التاريخ.

فهل يحمل خريف 2025 بداية مشروع علمي من ضفاف "عين شِرضت"؟

وهل نجد في قطراتها، كما وجد نبي الله، الشفاء؟

لماذا أغلب العلماء ملاحدة؟

يتكرر الحديث في النصوص القرآنية عن العقل ومكانته في الإنسان، بل يُعدّ التعقل أحد أبرز صفات من أثنى الله عليهم في كتابه، كما في وصفهم بـ "أولي الألباب" و"قوم يعقلون"، وهي صفات لم تُقيد بجنس أو طبقة أو موقع اجتماعي. فهو للمرأة والرجل سواء.وهذا يعني أن المرأة والرجل المؤمنين حق إيمان هو أصحاب لب وعقل،وقد تساوت هنا الصياغة للجنسين وفي المقابل، ترد أحاديث نبوية كحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "ناقصات عقل ودين" في وصفه للنساء، مما يطرح سؤالًا جوهريًا حول طبيعة العقل الإنساني: هل هو عقل واحد ثابت الوظيفة، أم أن الإنسان يحمل داخله أنماطًا متعددة من العقول أو الوظائف العقلية المتنوعة؟ وهل يمكن التوفيق بين خطاب قرآني يشيد بالمؤمنين والمؤمنات على حد سواء ويثني عليهم في قوله أولي الألباب، وخطاب نبوي يقرر نقصان عقل المرأة؟ بل كيف نفهم كذلك حديث القرآن عن "القلوب التي تعقل" رغم

أن الإنسان لا يملك إلا قلبًا واحدًا بحسب قوله تعالى: "ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه"؟

ولماذا جاءت الألباب والقلوب بصيغة الجمع في قوله تعالى :"أولي الألباب". وقوله:"أم لهم قلوب يفقهون بها" ؟وكيف يمكن تفسير كل هذه الأسئلة استنادا على نظرية العقول والذكاءات المتعددة لعلماء النفس؟

هذه الأسئلة تفتح الباب لتحليل بنية العقل الإنساني من زاويتين: الأولى دينية نصية، والثانية علمية تحليلية، ويبدو أن الجواب لا يكمن في اختيار أحد المسارين دون الآخر، بل في محاولة الجمع بينهما ضمن تصور متكامل لوظائف الإنسان العقلية.

حينما يقول الله تعالى: "أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها"، فهو لا يكتفي بالإشارة إلى أن القلب أداة تعقل، بل يعيد توزيع وظيفة الفهم من الدماغ – كما هو مألوف – إلى القلب. وفي

موضع آخر يقول: "أم لهم قلوب لا يفقهون بها"، دافعًا بوضوح إلى أن الفقه – أي الإدراك العميق – لا يصدر فقط عن العقل التحليلي، بل عن قلب له قابلية على الفهم الباطني الوجداني. لكن ما يلفت الانتباه هنا أن صيغة "قلوب" جاءت بصيغة الجمع، بينما في آية أخرى يقرر القرآن حقيقة وجودية حاسمة بقوله: "ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه"، مما يشير إلى أن التعدد المقصود في "القلوب" ليس تعددًا عضويًا، بل تعددًا وظيفيًا.

هنا تنفتح أمامنا فرضية مفادها أن الإنسان يحمل داخل قلبه الواحد إمكانات متعددة للفهم والتعقل، أي أن العقل في جوهره ليس جهازًا واحدًا يؤدي وظيفة واحدة، بل هو بنية نفسية مركبة تتعدد فيها الوظائف بحسب السياق والمجال. وبهذا المعنى، فإن الحديث عن "العقول المتعددة" لا يعارض التوحيد الخَلقي للجهاز العصبي أو للقلب، وإنما يتحدث عن تعدد

مسارات الإدراك والإدراك المعنوي داخل الذات الإنسانية الواحدة.

هذا التعدد المفهومي للعقل يجد له نظيرًا في العلم الحديث، وتحديدًا في نظرية الذكاءات المتعددة لعالم النفس هوارد غاردنر، الذي قرر أن الذكاء لا يمكن حصره في القدرة التحليلية أو الحسابية، بل هو منظومة متعددة الأبعاد تشمل الذكاء اللغوي، الرياضي، الاجتماعي، العاطفي، الموسيقي، الحركي، الوجودي (الروحي)، وغير ذلك. هذا التنويع لا يعني وجود عقول مستقلة بيولوجيًا، بل يشير إلى تنوع جوانب الفهم داخل الإنسان. وتكمن أهمية هذه النظرية في أنها لا تكتفي بتحديد القدرات، بل تقر بأن الإنسان قد يكون خارقًا في نمط واحد من الذكاء، وضعيفًا في غيره، دون أن يُعد ذلك نقصًا كليًا في عقله أو إنسانيته.

هذا المفهوم يُمكّننا من إعادة قراءة حديث "ناقصات عقل" بعيدًا عن التفسيرات السطحية أو الانفعالية، فالنقص الذي ورد في الحديث – كما فسّره العلماء – هو نقص نسبي وظيفي عملي، لا قدحي ولا روحي وجداني. السياق يشير إلى شهادة المرأة في المعاملات المالية، لا إلى عقلها من حيث المبدأ، وهذا هو "العقل العملي" أو الحسابي الذي كانت المرأة في زمن ما، وبحكم الأدوار الاجتماعية، أقل مباشرة له من الرجل. ولكن هذا لا ينفي امتلاكها لعقل روحي أو وجداني قد يتفوق على نظيره عند كثير من الرجال. ولعل من اللافت أن النبي نفسه وصف المرأة في الحديث ذاته بأنها "أذهب للب الرجل الحازم"، أي أن لها قدرة عاطفية أو وجدانية قد تعصف بأشد الرجال تماسكًا، وهذا إقرار ضمني بقوة عقلها العاطفي، وإن اختلف عن العقل العملي.

بضوء هذا الفهم، يمكننا تفسير المفارقة الواقعية التي طالما حيّرت العقول: لماذا يكون بعض الملحدين من

أعظم العلماء والمفكرين، بينما نجد كثيرًا من البسطاء أو النساء غير المتعلمات في قمة الخشية والإيمان واليقين بالله؟ وإذا كان العقل هو مناط التكليف، فكيف للنساء القاصرات فيه أن يكن أفضل بكثير من علماء اخترعوا الذرة والكيماوي ووصلوا القمر؟الجواب هو أن الذكاء التحليلي أو العقل العملي لا يستلزم بالضرورة وجود عقل روحي، والعكس صحيح. فالعالم الملحد قد يملك نبوغًا خارقًا في تحليل المعادلات، لكنه قد يكون محرومًا من الوعي الروحي الذي يوصله إلى الله. في حين قد تمتلك امرأة أمية عقلًا إيمانيًا يتجاوز كثيرًا من المتخصصين في علوم المادة، لأنها أدركت المعنى، لا بمجرد التحليل، بل بالبصيرة القلبية التي أثنى الله عليها بقوله: "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب."

إذن، فإن المفارقة بين خطاب الإشادة الإيمانية في القرآن للرجال والنساء، وخطاب التحديد الوظيفي في الحديث النبوي عن نقصان العقل، لا تعدو أن تكون

مفارقة ظاهرية تحل حين نميز بين أنماط العقل ووظائفه. فالقرآن حين يصف المؤمنين والمؤمنات بأنهم "أولو الألباب"، فإن اللب هنا هو جوهر العقل، العقل الروحي لا العقل العملي . وهو عقل معنيٌّ بالإيمان، بالخشية، بالاتصال بالغيب. أما الحديث الذي حدد فيه النقص في عقل النساء، فيتحدث عن عقل ميداني مرتبط بالإجراءات القانونية وشهادة المال.وهذا ما يدعم نظرية علماء النفس في العقول المتعددة .

والأهم أن هذا الفهم يفتح لنا نافذة لتقدير الإنسان تقديرًا أكثر عدلًا وإنصافًا. فالذكاء ليس وحدة رقمية، والعقل ليس قالبًا واحدًا. وما من أحد إلا ويحمل داخله عقلًا روحيًا، وآخر عمليًا، وثالثًا وجدانيًا، ورابعًا جماليًا. هذه العقول تتكامل أحيانًا، وتتنازع أحيانًا، لكنها في النهاية تشكل البنية المعرفية والروحية للإنسان.

وفي المحصلة، فإن العقل الإنساني، كما يبدو في ضوء النص القرآني والنظر النفسي، ليس كيانًا أحاديًا بسيطًا، بل منظومة متعددة الطبقات، تتوزع بين العقل العملي الذي يدير الشؤون الدنيوية، والعقل الروحي الذي يفتح نوافذ الإنسان على المعنى والخلود والغيب. وبين هذا وذاك، نُدرك أن الإنسان يملك عقولًا متعددة في الوظيفة، موحدة في الخَلقة، متنوعة في التجليات، وأن التقييم الحقيقي لا يكون بقياس الذكاء فقط، بل بمدى تناغم هذه العقول وتكاملها في صناعة إنسان راشد، مؤمن، واعٍ بذاته، ومتصالح مع فطرته.

كيف تفكر إسرائيل؟

كيف تفكر إسرائيل؟ سؤال يبدو بسيطًا، لكنه يحمل في طياته أبعادًا معقدة تتكشف عبر تحليل دقيق لتصريحاتها واتهاماتها المتكررة لأعدائها، إذ إن كل ما تصرح به إسرائيل عن خصومها يعكس في الحقيقة نموذج تفكيرها وطريقتها في إدارة الصراع، ولذلك يقال بحق إن كل إناء بما فيه ينضح. خلال حرب طوفان الأقصى التي خاضتها إسرائيل مع حركات المقاومة مثل حماس، ومع إيران ولبنان، ظهر نمط واضح في سلوكها العسكري والإعلامي؛ فقد كانت إسرائيل تقصف مستشفيات غزة مثل مستشفى الشفاء، وتزعم أن هذه المستشفيات تستخدم كقاعدة لحماس للعمليات العسكرية، الأمر الذي كان يصاحبه مشاهد مصورة لجنود إسرائيليين وهم يفتشون أنفاق الكهرباء تحت المستشفى بحجة أنها أنفاق قتالية تستخدمها حماس، وهي مزاعم لم تثبت صحتها وأصبحت مجرد تمثيلية إعلامية تبرر القصف وتخدم الرواية الإسرائيلية. كما لم تكتف

إسرائيل بذلك، بل استهدفت مخيمات اللاجئين في منطقة جباليا، واتهمت حماس باستخدام المدنيين كدروع بشرية لحماية عناصرها، وهو الاتهام الذي تستخدمه إسرائيل كذريعة لقتل المدنيين وهدم البنية التحتية في غزة. ولكن هذه الاتهامات التي توجهها إسرائيل لأعدائها هي في الواقع إسقاطات لما تفعله هي بنفسها. فقد أثبتت الوقائع أن إسرائيل هي التي تتخذ من المدنيين دروعًا بشرية، بل إنها تبني قواعدها السرية ومختبراتها العسكرية تحت عمارات سكنية مليئة بالمدنيين، لكي تحمي نفسها من الردود المباشرة، ولتضع خصومها في مأزق أخلاقي وسياسي. وهذا ما حدث على سبيل المثال خلال حربها مع إيران، حين قصفت إيران قاعدة عسكرية في منطقة مدنية، تبين فيما بعد أنها قاعدة ذخيرة في وسط أحياء سكنية مكتظة. وهذا الأمر يعكس بوضوح استراتيجية إسرائيل التي تلجأ لاستخدام السكان المدنيين كغطاء لهجماتها وتبريرها أمام العالم. وهذا النمط من التفكير لا يقتصر فقط على الساحة

العسكرية، بل يمتد إلى المجال الإعلامي والثقافي، حيث تتهم إسرائيل خصومها بتجنيد الصحفيين والإعلاميين والمثقفين لخدمة قضاياهم السياسية، كما حدث مع الشهيد أنس الشريف عندما اتهمته بالانضمام لحماس . وهذا الاتهام في جوهره يعكس ممارسات إسرائيلية حقيقية، فهي التي تجند صحفيين وإعلاميين ومثقفين في شتى أنحاء

العالم لخدمة مشاريعها السياسية والصهيونية.

والأمة الإسلامية في شتى ربوعها، باتت تدرك هدا الخطر ،فهذه هي فرنسا الحليف الأوربي لإسرائيل تتخذ من المعاهد الثقافية بينها وبين الدول التي استعمرتها سابقا،مركزا للتجسس ونشر الفوضى وهذا نصا ما أعلنته صحيفة الخبر الجزائرية قبل أيام ونشر في مواقع التواصل الاجتماعي . ففي سياق كشف الممارسات الخفية التي تنتهجها بعض الدول الأوروبية الموالية لإسرائيل، أفادت صحيفة "الخبر" الجزائرية بأن "المعهد الثقافي الفرنسي (CCF) " التابع للسفارة الفرنسية بالجزائر تحوّل من مؤسسة

للتعليم والتبادل الثقافي إلى مركز للتجسس وتجنيد العملاء، وفق ما أوردته الصحيفة. وأشارت إلى أن هذه الممارسات المشبوهة، التي تنطلق من باريس، تُحوّل أدوات القوة الناعمة إلى منصات لجمع المعلومات وزرع الفوضى. ويعكس هذا السلوك نمطًا متكررًا تلجأ إليه بعض العواصم الأوروبية التي تستخدم غطاء الثقافة لتوسيع نفوذها الاستخباراتي، بما يخدم الأجندات الإسرائيلية في المنطقة عبر زعزعة الاستقرار وضرب النسيج الاجتماعي للدول المستهدفة.

وهذا الخبر نشر قريبا في صحف الجزائر وليس خبرا قديما. رغم أن سياسات هذه الدول ضاربة في القدم في التجنيد ونشر الفوضى .

لذلك تعتبر مهنة الإعلام والثقافة مهنة مستقطبة لإختيار الجواسيس ممن تجندهم إسرائيل لجمع المعلومات وتجنيد العملاء، وهذا نصا ما كشفه أحد العملاء الذين صادتهم إيران وكان يعمل كمدرس جامعي في أحد الجامعات الإيرانية .

وبالتالي، فإن الاتهامات التي توجهها إسرائيل هي مرآة تكشف حقيقة ما تقوم به هي وحلفائها في الواقع، وأي تحليل دقيق لخطابها يجب أن يأخذ هذا البعد بعين الاعتبار. فبدلاً من تجاهل أو الاستهزاء بتصريحاتها، ينبغي التعامل معها بجدية وتحليل عميق، لأن ما تتهم به الآخرين غالبًا ما يكون جزءًا من نهجها واستراتيجيتها الخاصة. وهذا الأمر ينطبق ليس فقط على إسرائيل، بل على كل دولة أو جهة تستخدم الاتهامات كأداة للحرب النفسية والسياسية. وأخيرًا، يمكننا القول إن فهم إسرائيل يتطلب قراءة دقيقة بين السطور وفي تصريحاتها المتكررة التي تعكس طبيعة تفكيرها الاستراتيجي والسياسي؛ فكل من يرى الناس بعين طبعه يبوح عن ذاته أكثر مما يبوح عن الآخرين. ولذلك، فإن تحليل اتهامات إسرائيل هو المفتاح لمعرفة أسرار تفكيرها الحقيقية ومواقفها في الصراعات الإقليمية والدولية.

لماذا لا يوجد علماء في عمان؟

لقد آن الأوان أن نواجه الحقيقة بجرأة، لا باللف والدوران ولا بترقيع الواقع الفاسد. السؤال الصادم: لماذا لا يوجد علماء في عُمان اليوم؟ ليس مجرد سؤال عابر، بل صرخة مدوية تهزّ ضمائرنا جميعاً، وتضعنا أمام مرآة قاسية تكشف عوراتنا بلا تجميل. كيف لأرض أنجبت ابن عُميرة وابن الذهبي وابن رزيق، وغيرهم من فطاحل الفكر والعلم، أن تُصبح اليوم عقيمة عن إنجاب علماء يقودون الأمة؟ كيف لأرحام أن أخرجت رجالاً صنعوا المجد أن تنحسر ذريتها إلى أجيال متعبة، همّها الشهادة الورقية والوظيفة الرتيبة وراتب آخر الشهر؟ لماذا لا تنجب عمان، عالما ينافس علماء الغرب وأوربا ،مثل نيوتن وإنشتاين وبور وأرخميدس؟هل أصبحت أوطاننا الإسلامية والعربية عقيمة ،حتى صرنا لا نسمع كلمة عالم معنا إلا إذا كان عالم دين فقط ،وعددهم لا يتجاوز الواحد والإثنان وهم كبار سن قد ناهزوا السبعين عاما؟

لسنا هنا لنختبئ خلف شماعة المؤامرات.كما حصل فعلا لعلماء إيران. لن نقول: إسرائيل وأمريكا

استهدفتانا، رغم أن هذا واقع لا يُنكر.فنحن لسنا في حرب دموية، وإن كان مجال الحرب مفتوحا. ولن نتذرع ببروتوكولات حكماء صهيون ومخططات القوى الكبرى كما صرح رئيس إسرائيل النتن عن مخططاته الروحية والسياسية لخلق إسرائيل الكبرى وهذا لن يتم إلا بمؤامرة عالمية علينا، رغم أنها مكتوبة بمداد التاريخ. لكن لا بد أن نعترف أن أخطر مؤامرة على هذه الأمة لم تأتِ من الخارج، بل خرجت من الداخل: من تعليم فاسد، وقيم مقلوبة، وتربية مريضة.فهذا هو الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :"اللهم لا تسلط عليهم عدو من غيرهم". وهذه نبؤة حق وتنبؤ عظيم. فعدونا أنفسنا ،ولن نتخذ من الغير شماعة، لأنه لو لم يجدوا الفساد في قلوبنا، لما سهل استغفالنا وخداعنا وإسقاطنا في هذه الدوامة القذرة من التخلف والجبن والأتكالية .

مدارسنا تحولت إلى مصانع للنسخ المكررة، تنتج أجيالاً محشوة بالمقررات، تردد ما يُملى عليها، تحفظ لتنسى، تتعلم لتجتاز الامتحان لا لتكتشف الحياة.ندرس أطفالنا القضايا القديمة دون تجديد، ولا نعرض عليهم ما يخالف أفكارهم ومعتقداتهم لينتقدوه

ويقيموه ،وكل ما في المواد هو حشو معلومات وتفريغها في الورق، دون تفاعل نقدي وهادف على مستوى عال من الإحترافية. جامعاتنا أضحت معابد للشهادة لا للعلم، حيث يتخرج الطالب وقد قتل فيه كل فضول، ودفن فيه كل شغف.لا يجرؤ على خوض مغامرة بحثية واحدة ،بغض النظر عن تحفظ دكاترة الجامعات لمن يعارضهم أو يخالفهم. ومجتمعنا صنع من المال صنماً يعبده الناس صباح مساء، ومن المناصب كعبة يطوف حولها الطامعون، ومن الكراسي معبوداً أكبر لا يزاح. فأي عالم سيولد في هذه البيئة المسمومة؟!

ولعل النظام التعليمي نفسه قد لعب دوراً محورياً في هذا التراجع. فالامتحانات والدرجات، وما يرافقها من رهبة وقلق، خلقت أجيالاً تدرس من أجل العلامة لا من أجل المعرفة، تحفظ ولا تفكر، تجتر المقرر بدل أن تسائل العالم.فهل نحتاج إلى مراجعة شاملة لنظام التقيم العتيقة هذه والتي لا تقيم غير مدى حفظ الطالب، مع تغاضيها عن نظرية الذكاءات المتعددة. بل إن المواد التي يُفترض أن تكون متنفساً للإبداع، كالموسيقى والرسم والرياضة، تحولت إلى مواد نظرية تُحفظ كأي مادة أخرى، ففقدت روحها

وأصبحت عبئاً على الطالب بدلاً من أن تكون ساحة للتعبير عن موهبته. رغم أن هذه مهارات ليس مكانها المدرسة والجامعة، بل مكانها النوادي الرياضية والثقافية والساحات العلمية الخارجية.ورغم أنني نتسأل دائما ،عن جدوى تعليم هذه المواهب لكل الطلاب، رغم أن الموهوبين فيها قلة قليلة تعد بالأصبع .
ألم يقل المستشرقون من قبل: "استهدفوا التعليم والقدوات تتحطم الأمة"؟! هذا ما حدث، استُبدل القدوة العالِم بالقدوة التاجر والمسؤول والنجوم الوهمية، حتى كبر أطفالنا وهم يحلمون بالمال والشهرة لا بالبحث والمعرفة.

نحن نربي أبناءنا على الخوف، على الطاعة العمياء، على الركض وراء القطيع، ثم نتساءل: لماذا لم يظهر فينا علماء؟! كيف يولد العالِم وهو يحتاج إلى حرية السؤال ونحن نكبت الأسئلة؟! ونعاقب من يطرحها، ونحاول كتم صوته. كيف يخرج المفكر وهو يحتاج إلى الجرأة على الشك ونحن نقتل الجرأة باسم الأدب والاحترام؟!

لقد حان الوقت لثورة علمية وفكرية جذرية، لا ترقيعات سطحية. نحتاج أن نُسقط أصنام التعليم المعلّبة، ونزرع في أبنائنا حب البحث والمغامرة، وجرأة التمرد على السائد، وإرادة التجريب ولو في مواجهة الفشل. نحتاج أن نعيد للأسرة دورها في صناعة الحالمين لا الموظفين، وفي إنجاب المبدعين لا المطيعين. نحتاج أن نقول لأبنائنا: لا قيمة لدرجة ولا شهادة إن لم تُثمر أثراً، ولا مجد لمن عاش عادياً وتبع القطيع، فالمجد لا يفتح أبوابه إلا للشجعان.

أيها العمانيون، إن استمرارنا على هذا الحال جريمة في حق أنفسنا وتاريخنا. سنظل نباهي بماضينا ونحن نعيش فراغاً في حاضرنا، وسنظل نردد أسماء علماء رحلوا منذ قرون بينما لا نملك اليوم واحداً يقود العالم كما قاد أسلافنا. ألسنا أحفاد أولئك؟ أليست جيناتنا نفسها التي أنجبتهم؟ فما الذي تغيّر؟ الذي تغيّر أننا عبدنا المال وركضنا خلف المناصب وأغلقنا أبواب العقل، فاختفى العلماء.فهل إقترب الزمن الذي سيرفع فيه العلم بموت العلماء؟

الجواب الصادق: لا يوجد علماء في عمان لأننا نحن قتلناهم قبل أن يولدوا. قتلناهم بنظام تعليم عقيم مستورد ، وتربية مهزومة تربي فينا الخوف والقناعة، ومجتمع راكض خلف فتات الدنيا من مناصب وشهوات. فإذا أردنا أن تعود عُمان منارة للعلم والعلماء، فعلينا أن نغير هذا الواقع الفاسد، لا أن نجمّله. علينا أن نعيد الاعتبار للعلم، للبحث، للاكتشاف، وللجرأة.علينا أن نهدم الثقافة المسمومة هذه ،وننشر ثقافة الجرأة والسؤال والمغامرة وحب الإستكشاف والفضول .

نعم. لا يوجد علماء معنا، لأننا غيّبنا العلم عن معناه الحقيقي، وأقصينا القدوة الصالحة، وأدخلنا أبناءنا في دوامة درجات وشهادات ومناصب، فخرجوا لنا أجيالاً تائهة، معاقة ذهنياً كما وصف بعض المستشرقين، همها محدود وأفقها مغلق. والسؤال الذي يجب أن نطرحه بجرأة: هل نملك الإرادة لنغيّر هذا الواقع؟ وهل نحن مستعدون لثورة فكرية وتعليمية تعيد للأمة علماءها؟ أم سنظل نكتفي بالحسرات على مجد ماضٍ لن يعود؟

لماذا الساحر غالبا فقير؟

لماذا لا يكون الساحر غنياً؟ سؤال يبدو بسيطاً لكنه في حقيقته لغز يفتح أبواباً من التأمل والفكر، إذ إن أول ما يخطر في بالنا أن من يملك سرّ الدهشة وأدوات الغموض وقدرة على إبهار الناس لا بد أن يحوّل هذه القدرات إلى ثروة ونعيم، لكن الواقع يعكس صورة أخرى تماماً، فالساحر غالباً ما يعيش على الهامش، محاطاً بالفقر أو بالعزلة، وكأن المال يتجنبه أو كأنه هو من يتعمد الابتعاد عنه. ولعل ما أشار إليه عبدالوهاب الرفاعي في كتابه حالات نادرة يلمس جوهر القضية حين كتب: "ربما هؤلاء لا يريدون الحياة في نعيم كما نقول .. بل يريدون بالمقابل أن يبهروا العالم وأن يروا أفكارهم تتحقق .. التاريخ مليء بشخصيات كهذه!!!".حيث يحكي هذا الكتاب أحد القصص، عن ساحرة غجرية، رثة الهيئة والملابس ،تعيش في الشارع، رغم ذلك كانت تقرأ وتمنح قدرات خارقة للناس. وهذا ما أثارني لكتابة هذا المقال والإجابة على هذا السؤال، الذي يكشف

حقيقة علمية رائعة، معترف فيها في علم النفس والإدارة، وتجيب على أسئلة كثيرة عن أناس علماء، أختاروا لذة العلم وتركوا المال جانبا. لأنهم ببساطة لا يريدون ذلك .

إن الأمر إذن لا يتعلق بالعجز عن جمع المال، بل يرتبط بما هو أعمق، بما يتجاوز فكرة الثروة المادية إلى دوافع خفية تحرّك الإنسان في مستويات أخرى من الوجود. وإذا استدعينا هرم ماسلو للاحتياجات الإنسانية، سندرك أن الساحر يقفز على الحاجات الدنيا المتمثلة في الأمان والراحة والمال، لينطلق مباشرة إلى قمة الهرم حيث يكمن الشغف بتحقيق الذات وإثباتها، هناك حيث لا يكون المال سوى أداة عابرة، بينما تتحول اللذة الحقيقية إلى انبهار الآخرين وتصديقهم أن ما يقوم به يتحدى حدود المنطق والعقل. إن الساحر يعيش نشوته الحقيقية حين يرى الدهشة تلمع في العيون، وحين يشعر أن العالم قد توقف لحظة عند فعله، أما المال فلا يحرّك فيه شيئاً،

بل قد يعدّه نوعاً من القيود التي تُنزله من عالم الغموض والإبهار إلى عالم التجارة والابتذال.

لقد فهمت هذا المعنى حين سألت ذات يوم خبيراً كبيراً في علوم الطاقة والباراسيكولوجي، إنساناً يملك علماً هائلاً في مجاله، عن سبب عدم فتحه مشروعاً تجارياً يستثمر فيه علمه ليجني المال والراحة، فأجابني بكلمات قليلة لكنها كانت كافية لتكشف كل شيء: "لا أشعر برغبة في ذلك.. لا أريد أصلاً". عندها فقط أدركت أن العلم بالنسبة له لم يكن وسيلة للعيش بل كان ذاته نفسها، وكان إفراغه في مشروع تجاري سيقتل سرّه ويحوّله إلى سلعة رخيصة، وهذا ما لا يقبله، لأنه يريد أن يبقى غامضاً، استثنائياً، بعيداً عن المألوف.

إن السحرة والغامضين عبر التاريخ لم يسعوا إلى المال لأنهم يدركون أن الذهب يربطهم بالأرض بينما

هم يريدون أن يحلقوا فوقها،لينافسوا الآلهة والأرباب. يريدون أن يثبتوا أن العالم ليس مغلقاً كما نتوهم، بل مفتوح على احتمالات مذهلة، يريدون أن يتركوا وراءهم أثراً من الدهشة لا حساباً مصرفياً. إنهم يرفضون أن يعيشوا في وفرة ظاهرية، لأن وفرتهم الحقيقية تكمن في الغموض الذي يملكونه وفي القدرة على تحدي العادي وكسر المألوف.

وهكذا يبقى السؤال مفتوحاً: لماذا لا يكون الساحر غنياً؟ لأنه لا يريد أن يكون. لأن الغنى بالنسبة له ليس مالاً بل غنى في التفرّد والإبهار. لأنه يرى في لحظة الدهشة التي يرسمها في عيون الآخرين ثروة تفوق الذهب، ويرى في الغموض إرثاً أعمق من أي ميراث مادي.وهذه تعادل لذة لا نظير لها لهم. فهل يمكن أن نعدّ هذا الفقر ضعفاً؟ أم أنه في الحقيقة الاختيار الأفضل بالنسبة لهم؟ إن التاريخ يخبرنا أن الأسماء التي عرفت عن السحرة لم تكن دائماً الأغنى

مالاً، بل كانت الأغنى غموضاً، والأكثر قدرة على أن تترك وراءها سؤالاً لا جواباً.

جذور أزمة الباحثين عن عمل

أزمة الباحثين عن عمل في عمان لم تعد مجرد أرقام تتداولها التقارير أو تصريحات ترددها الجهات الرسمية، بل تحولت إلى أزمة خانقة يعيشها الشباب يومياً؛ أزمة تبدأ من التعليم، وتتشعب إلى سوق العمل، وكل ما بينهما من وعود مؤجلة ومشاريع حلول ترقيعية. إن أول طريق للحل هو أن نعترف بحجم الخلل، والاعتراف هنا يقودنا مباشرة إلى النظام التعليمي الذي لم يعد ينتج عقولاً، بل يصنع أوراقاً مطبوعة تسمى شهادات.أو أنتج عقولا تفوق الذي نحتاجه ،مما جعلهم عباء على المؤسسات والشركات؟

لقد فُتحت الجامعات والمدارس على مصراعيها حتى غصت بالآلاف من الطلاب، كثير منهم يدرسون بلا رغبة ولا هدف، سوى إرضاء أهلهم أو انتظار راتب آخر الشهر. والنتيجة: أجيال تحمل شهادات لا تحمل معها أي كفاءة حقيقية.أو أجيال حملت فوق طاقتها من

معلومات تم حشوها حشوا في أدمغتها طيلة فترة شبابها .

أتذكر الطالب الذي كنت أدرسه الإنجليزية، وكان في الثانية عشرة من عمره، ولا يعرف حتى الحروف الأبجدية، ثم تخرج بعد سنوات ليصبح معلماً، لا حباً في العلم ولا إيماناً بالرسالة، بل لأنه وجد وظيفة جاهزة، وأراد أن ينافس أقرانه ،ويباهي بها مجتمعه وأسرته، وكأن المهن الأخرى التي تتطلب جهدا وبدنا وحركة، هي مهن وضعية، لا ينزل لممارستها. هذا المثال ليس استثناء، بل صورة متكررة عن خلل عميق في التعليم.

نظامنا التعليمي اليوم يكرر نفس الأخطاء؛ ينتج آلاف الخريجين كل عام دون أن يسأل نفسه: هل هم مؤهلون فعلاً؟ هل يملكون مهارات يحتاجها السوق أم تم حشو أدمغتهم بمعلومات تفوق المطلوب مما شكل

عائقا لإنتاجيتهم ؟هل هم مجرد أرقام تضاف إلى قوائم الباحثين عن عمل أم أعداد تكدست بدون جدوى؟ ما جدوى أن نمضي خمس سنوات في دراسة بكالوريوس، ثم يتخرج الطالب وقد نسي نصف ما درسه في السنة الثالثة، فما بالك بما قبلها؟ وما جدوى أن تنفق الدولة أموالاً طائلة على كليات وجامعات، بينما السوق يصرخ طلباً لأيدٍ عاملة في مجالات تقنية ومهنية لا تجد من يشغلها؟

وقد كتبت هذا المقال رداً على المقترح الذي اقترح كاتبه فيه عدم منح تأشيرات للعمالة الوافدة دون سن الخامسة والثلاثين، في وقت تجاوز فيه عدد هذه العمالة في عمان المليون في عام 2025. وليدرك الكاتب أن المشكلة ليست فقط في العمالة الوافدة، بل في شباب عمان أنفسهم، الذين لم يُؤهل أغلبهم للمهن التي تحتاج إلى دبلومات مهنية فقط، بل تكدسوا في تخصصات نظرية وبكالوريوس ودراسات عليا ضج السوق بها، بل فاضت عن بكرة أبيها. إن وقف

التأشيرات ليس حلاً، بل الحل الحقيقي يبدأ من الداخل: من التعليم وإعادة توجيه الطاقات الوطنية إلى ما يحتاجه السوق فعلاً.

الحل ليس في فتح المزيد من الجامعات، ولا في زيادة أعداد المقبولين، بل في إعادة صياغة فلسفة التعليم من جذورها. يجب أن يُقنّن القبول في الدراسة العليا فلا يدخلها إلا من يملك الرغبة والقدرة، ويجب أن يُفتح المجال واسعاً للمعاهد المهنية والحرفية والتقنية، وأن تدخل الدبلومات القصيرة إلى الجامعات والكليات لتكون هي المسار الأساسي لغالبية الشباب. أما مسار البكالوريوس والماجستير والدكتوراه فيبقى للنخبة التي تبحث عن العلم حباً فيه، وللقطاعات التي تحتاج إليه كالطب والتعليم.

بهذا التوجه سيتغير المشهد تماماً، فلن يقارن الطالب نفسه بغيره لأنه سيعلم أن الأغلبية تحمل شهادات

مهنية قصيرة، كما ستنخفض تكاليف التعليم العالي وتزداد سرعة رفد سوق العمل بكفاءات عملية. وسيتعزز الإنتاج الوطني إذ يمكن إعداد خريج دبلوم مهني في ستة أشهر، في حين يحتاج البكالوريوس لخمس سنوات غالباً بلا جدوى تطبيقية كبيرة. وسيتحرر الشباب من عقدة العطالة واليأس حين يشعرون بأنهم منتجون ومطلوبون في سوق العمل، لا عاطلون يطاردون وظيفة لا تأتي، وسيزداد تقديرهم لأنفسهم وتتحسن صحتهم النفسية مع إحساسهم بالجدوى والفائدة.

إننا إذا لم نجرؤ على مواجهة الحقيقة، فسنظل ندور في نفس الحلقة المفرغة: بطالة متزايدة، ووعود مؤجلة، وتعليم يكرر إنتاج المشكلة بدلاً من حلها. إن إصلاح التعليم هو المعركة الحقيقية، وأي حديث عن حلول أخرى من دون ذلك هو مجرد مسكنات لمرض مزمن لن يشفى.

هل سبق التجويد علم النفس؟

حين نتأمل أمر الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: 4]، نجد أنفسنا أمام توجيه إلهي له من العمق ما يتجاوز حدود الظاهر. لم يقل الله "اقرأ القرآن قراءة" أو "تلوه تلاوة"، بل شدد على الترتيل وأكّد الأمر بتكرار اللفظ على وجه مخصوص: ترتيلًا. وكأن في الترتيل سرًّا عظيماً يتجاوز حدود النطق السليم وتحسين الصوت، سرًّا يمسّ باطن الإنسان ويخاطب أعماق روحه، ويكشف أن وراء هذه الأحكام الدقيقة في التجويد حكمة خفية تتعلق بوجدان المؤمن ونفسيته، لا بمجرد لسانه وصوته.

لقد طال بحثي في كتب السلف وأقوال العلماء حول الترتيل، ووجدت في كلامهم إشارات إلى التأني والتدبر وحسن الأداء، غير أنّ ذلك لم يكن ليطفئ عطشي ولم يكن كافياً ليروي تساؤلي العميق: لماذا أكّد الله الأمر بالترتيل؟ ما السر وراء هذا الإلحاح

الإلهي؟ حتى شاء الله أن يفتح عليّ بهذا المعنى وأنا أقرأ في سورة الأعراف، وقد مررت قبلها بابتلاء نفسي شديد، حزن عميق ومرض روحي عظيم، جعلني أبحث عن دواء يداوي كسور الروح. وكأن الله أراد أن يجعل من هذا البلاء مفتاحاً لفهمٍ جديد من أسرار كتابه، فإن المؤمن يبتلى حتى يمكَّن، وإن في كل ابتلاء هدية خفية، ومنحة إلهية مضمّنة في ثنايا المحنة.

وإذ أتأمل في القرآن وأحكام تلاوته، رأيت أن التجويد ليس مجرد قاعدة لتصحيح اللفظ، بل هو لغة داخلية تعبّر عن حالات النفس، كأن الله جعل أصوات الحروف وأحكامها ترجماناً لمشاعر الإنسان المكلوم.وعلاج لروحه التائهة الحزينة ،في هذه الحياة التي وصفها في كتابه بالكبد. بغض النظر عن الإبتلاءات النفسية التي يعاني منها المسلم في حياته، حتى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الماسك على دينه، كالغابض على الجمر. فكيف سيرتاح من

كل هذا العناء، إذا لم يكن في القرآن سرا ربانيا يفوق المعنى ويتجاوزه. بل يجعل من القرآن وآوامره كلها ربانية ومباركة .

فالغنة مثلاً، حين يخرج صوتها من الخيشوم ممتداً رقيقاً، أشعر به كأنّه أنين، أنين الحزين المكظوم الذي يتأوه بصمت، وما أكثر الغنة في القرآن حتى تكاد لا تخلو صفحة منها، كأنها تقول للمؤمن: الأنين جزء من مسيرتك، والقرآن يصغي لأنينك ويحوّله عبادة.وأنك يا مسلم عندما تغرقك الحياة في أنينها ومرضها، إلجأ للقرآن ،فكل غنة بأنة. والمدّ أيضاً حين يمدّ القارئ صوته كأنه يمدّ أنفاسه، أشعر به شبيهاً بالتأوه العميق الذي يخرج من صدر مهموم، فيطيل النفس حتى يخرج معه بعض ما اختزنته الروح من الكمد، فإذا بالمد يصبح أداة للتنفيس والراحة. وأما القلقلة فهي على النقيض، صوت قوي يخرج يهزّ السامع، كأنها صرخة عزيمة في وسط الحزن، تثبّت القلب وتذكّره بالقوة والعزة والأنفة،

فتوازن بذلك بين الانكسار والتماسك، وبين التأوه والصمود.

ومن هنا أدركت أن أحكام التجويد ليست مجرد تحسين لحنٍ أو جمال صوت، بل هي أسرار ربانية ذات وظيفة نفسية وروحية عميقة. إنها بمثابة علاج نفسي سابق لزمانه، يترجم مشاعر المؤمن من حزن وتأوه وأنين إلى أصوات منغمة مباركة، فإذا به وهو يقرأ لا يفرغ حزنه في بكاء مجرد، وإنما في تلاوة هي عبادة ودواء في آن واحد. وهنا يلتقي علم النفس بالدين: فإن علماء النفس اليوم يتحدثون عن "التفريغ الانفعالي" وأهمية إخراج المكبوتات بالصوت والنغمة، ويعتبرونه وسيلة علاجية تسمى بالتنفس الصوتي أو العلاج الصوتي. والقرآن سبق إلى هذا قبل قرون، فجعل الترتيل نفسه أداة للتفريغ الانفعالي، حيث يعبر المؤمن عن حزنه بأصوات مضبوطة بقواعد، فيخرج ما في صدره لكن في قالب مقدس، فيشفى صدره ويثاب على ذلك أجراً عظيماً.

ولعل هذا هو السر في قول الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82]، فهو شفاء لا يقتصر على الأبدان، بل يطال القلوب والنفوس أولاً. فإن الحزن من أعظم ما يرهق الإنسان، وقد ابتلي به أنبياء الله أنفسهم، من يعقوب الذي ابيضت عيناه من الحزن، إلى يوسف الذي قاسى ظلم السجن والغربة، إلى محمد صلى الله عليه وسلم الذي عاش يتم الطفولة وأثقال الرسالة. فإذا كان الأنبياء قد ابتلوا بالحزن فما بالنا نحن؟وقد أزدادت عدد الأمراض النفسية والروحية ومثيراتها في هذا العصر، حتى أصبح لا يكاد يخلو من بين أربعة أشخاص شخصا واحدا يعاني منها. كما يقول الطب الحديث. ولكن الله جعل من القرآن شفاءً يواسي قلوب المحزونين، ويحوّل دموعهم إلى تلاوة، وأنينهم إلى غنة، وتأوههم إلى مدّ، وصرخاتهم إلى قلقلة، فإذا بهم يتنفسون الحزن لكن بلسان القرآن، فيجدون في ذلك رحمة وسكينة.

وهكذا أدركت أن الترتيل ليس أمراً عارضاً، ولا تحسيناً صوتياً فحسب، بل هو سر رباني يتجلى فيه أن القرآن قد سبق الزمان كله، وأنه تنبأ بعلاج النفوس قبل أن يعرف البشر شيئاً عن علم النفس الحديث. فالقرآن كتاب هداية وشريعة، وهو أيضاً كتاب علاج ودواء، وقد جعل الله في ترتيله بالذات أداةً لترويض الحزن، وشفاءً من الهم والغم. ومن هنا نفهم لماذا يخرج المؤمنون من الدنيا أول ما يحمدون الله عليه في الجنة بقولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر: 34]، لأن الحزن رافقهم طول حياتهم، وكان القرآن هو الدواء الذي حفظهم حتى بلغوا دار السلام.

فاللهم ارزقنا لذّة الترتيل، وافتح علينا من أسرار كتابك ما يذهب عن قلوبنا الحزن، واجعل أنيننا مع الغنة، وتأوهنا مع المد، وصمودنا مع القلقلة، حتى نلقاك بقلوب نقية شفيناها بكتابك ودويناها بكلامك.

محتوى الشيطان

في زمن صار فيه كل إنسان يحمل شاشة صغيرة في جيبه، تحولت وسائل التواصل الاجتماعي إلى ساحات تعجّ بالمعلومات المتدفقة، منها النافع ولكن كثير منها سام وضار وشيطاني، لاسيما حين يتعلق الأمر بالعقائد والأحلام وما وراءها. قبل أيام كنت في حوار مع زميل يناقشني في مسألة الأحلام، وكان يرى أنها بعيدة عن التدخل الخارجي أو أن للجن والشياطين سلطة فيها. وهنا تكمن المشكلة، فالموروث الإسلامي واضح، والرسول صلى الله عليه وسلم بيّن أن الأحلام ثلاثة أقسام: رؤيا صالحة من الله، وأحاديث نفس، وأخرى من الشيطان.وفي هذا الزمن، الذي أصبح المتدين فيه غريب، وأصبحت الشياطين هي التي تسيطر وتبث سمومها،وأصبحت مواقع التواصل والمناصب العلمية تديرها جماعات سرية ،سرقت أموال العالم بخبثها وحقارتها ،فما الذي يضمن أنها لم تتوصل إلى صناعة حلم ،عن طريق شعوذة وتحت ستار العلم؟.علما أن الموجة الحديثة من المعلومات

المضللة التي تتسرب من منصات مثل "تيك توك" و"يوتيوب" صنعت وعياً مشوشاً لدى كثير من الناس، حتى بات البعض يظن أن كل حلم رسالة حقيقية وأن كل كابوس كشف لأسرار السحر والجن.حتى أصبحوا يتهافتون على أبواب المفسرين ،يطلبون التفسير والتأويل ،لكل حلم وإن كان تلاعبا، متناسين وصية الرسول التي ينصح فيها بعدم ذكر الحلم إلا لناصح أو عالم .

ما يزيد الطين بلة أن هذه المنصات تحولت إلى ميدان خصب لترويج أوهام تحت مسميات براقة مثل "علوم الطاقة"، "الريكي"، "الشاكرات"، وكأنها حقائق علمية لا تقبل النقاش. في الواقع، هذه المسميات ما هي إلا ستار يخفي وراءه تغلغلاً شيطانياً يزداد تأثيره على الشباب المسلم خصوصاً. كثيرون باتوا يحلمون بأحلام مشتركة عن السحر ومن عمله، وغالباً ما يشير الحلم إلى أحد الأقارب أو المعارف، فيزرع الشيطان بذلك بذور الشك والفتنة بين الناس. ولما

واجهت زميلي بهذه الحقيقة، استشهد بمقاطع مرئية لأشخاص يزعمون أنهم حلموا بمكان السحر ثم استخرجوه. فسألته: ومن يضمن لك أن هذه القنوات ليست من إنتاج سحرة أو أصحاب نوايا خبيثة، يهوداً كانوا أو غيرهم، ممن يخلطون الوهم بالحقيقة ليهدموا ثوابت الناس؟لاسيما أن أغلب الحسابات المشهورة. تديرها جهات مشكوك في أمرها، لأنه لو كان صاحب المحتوى خيرا وإنسانا صالحا ،لتكالبوا عليه تكالب الأكلة على قصعتها ،ولأقصوه وشردوه في هذه الأرض، فلا يشتهر إلا من يخدم مصالحهم ،لاسيما أن طوفان الأقصى كشف كثيرا، أن أغلب مواقع التواصل يحكموها الأشرار واليهود ويتحكمون فيها .

ومن الأمثلة الصارخة على هذه الأفكار المضللة التي تمس عقيدة المسلم وتلبس عليه دينه. قناة على "تيك توك" يديرها يهودي يملك عدة حسابات، يروج عبرها لأساور النحاس الأحمر بدعوى أنها تمنح

طاقة إيجابية وقوة روحية وسراً عجيباً في النفس. والمصيبة أن البعض صدق واشتغل بالتعليق والمشاركة، بينما الحقيقة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حذّر من هذه الواهنة التي لا تزيد المرء إلا ضعفاً. النحاس والحديد معادن معروفة بقدرتها على امتصاص الحرارة، والجن طاقات حرارية بطبيعتهم، فتتحول هذه الحلية إلى مدخل للتأثيرات الشيطانية بدلاً من أن تكون حماية أو علاجاً.

اللافت أن التضليل لا يتوقف عند حدود الأساور النحاسية، بل وصل إلى الأساور المغناطيسية التي يزعم أصحابها أن لها أثراً طبياً وعلاجياً. وحين بحثت وجدت من يذكر أن هذه الأساور تجعل صاحبها أكثر عرضة للتأثر والتسلط من قبل الآخرين، وكأنها باب جديد من أبواب الاستضعاف الروحي والعقلي. والمثير للقلق أن بعض المواقع العالمية مثل "كيورا" صارت تفتح المجال لأشخاص يعرّفون أنفسهم بوضوح كسحرة ذوي خبرة، ينشرون

"مقالات" تتسلل بلبوس علمي أو ديني، لكنها في حقيقتها سموم فكرية وعقائدية.

لقد صار العالم الرقمي مساحة خطيرة، فيها من يدّعي العلم وهو يروج للخرافة، ومن يبث السحر في ثوب الطاقة، ومن يزرع الشبهات بعبارات روحية زائفة. والبيت المسلم هو الهدف الأول، لأنه إن تزعزع من داخله، فسدت الروابط وتقطعت الأواصر. ولهذا فإن التحري والتدقيق في كل ما يصلنا من هذه المنصات واجب شرعي وعقلي، فليس كل ما يُعرض حقيقة، وليس كل من يتحدث صادقاً أو ناصحاً. وما بين فيديو يزعم استخراج سحر، وآخر يبيع أساور النور والطاقة، يظل المسلم محتاجاً إلى بوصلة وعي تعيده إلى الوحي الصافي، حتى لا يقع فريسة سهلة في شباك التضليل الرقمي الذي يختلط فيه الباطل بالحق في أخطر صوره.

القانون أم الأخلاق..ولو كان الثمن وظيفة؟

حكت لي زميلتي التي تعيش في دولة غربية أنها خرجت من مقابلة عمل مؤخرًا وهي في حالة من الدهشة العميقة. لم يكن السبب المنصب المعلن ولا المسمى الوظيفي، بل سؤال واحد جعلها تغوص في دوامة من التساؤلات الفلسفية.

كان السؤال الذي طُرح عليها لشغل وظيفة أخصائية تسجيل براءات اختراع هو: "إذا تقدم لك طلب تسجيل اختراع مضر بالبيئة أو بصحة الإنسان، هل ستوافقين على منحه براءة اختراع؟"

تقول لي إنها في البداية ظنت أن الأمر مجرد اختبار عادي، لكنه في الحقيقة فتح أمامها بابًا واسعًا على معضلة فكرية تتجاوز حدود الوظائف. فأجابت بما يمليه عليها ضميرها وما قرأته في أخلاقيات العلم: "العلم له أخلاقياته، ومبدئي أنه لا ضرر ولا ضرار. لذلك لن أمنح براءة اختراع لشيء يضر البيئة أو صحة الإنسان".

كانت تعتقد أن هذه الإجابة ستُظهر وعيًا أخلاقيًا وموقفًا إنسانيًا، لكنها فوجئت لاحقًا بأنها حصلت على أدنى تقييم بين عشرين مرشحًا. وعندما عادت إلى منزلها، دفعها الفضول إلى البحث والتفكير أكثر. حتى أنها سألت الذكاء الاصطناعي، فجاءها الجواب بأن مهمة أخصائي براءات الاختراع تقتصر على التقييم الفني والقانوني: الجدة، الخطوة الابتكارية، القابلية للتطبيق الصناعي. أما الأثر البيئي أو الصحي فلا يدخل في نطاق اختصاصه، بل هو شأن جهات رقابية أخرى.

بمعنى آخر – كما روت لي – فإن القانون لا يمنع منح براءة اختراع لمجرد أنه مضر بالبيئة أو الصحة، إلا إذا وجد نص صريح يحظر ذلك.

عند هذه النقطة، ضحكت زميلتي بمرارة وقالت: "ربما كان هذا الجواب هو ما توقعه مني المقابل، وربما لو أجبت به لحصلت على الوظيفة. لكني لم ولن أندم. لأنني أدركت أن قبولها كان سيضعني أمام

تحدٍ أخلاقي يومي لا أحتمله. كيف أوقع بيدي على براءة اختراع أعلم أنه قد يلوث البيئة أو يضر الإنسان؟ أيهما أُقدّم: القانون الجامد أم المبدأ الأخلاقي الذي أؤمن به؟"

قصتها ذكّرتني بما كانت تضربه من أمثلة: ندم ألفريد نوبل بعد اختراع الديناميت حين تحول من أداة للبناء إلى أداة للقتل، وكيف اضطر أن يؤسس جائزة نوبل تكفيرًا عن ذلك. أو العلماء الذين صنعوا القنبلة النووية معتقدين أنهم يخدمون البشرية، فإذا بهم يفتحون أبواب الجحيم على الأرض. وسألتني متأملة: "تخيلي لو جاء اليوم مخترع القنبلة النووية يطلب براءة اختراع، هل سيمنحها له القانون رغم علمنا بما قد تجره من ويلات؟"

تقول إن ما أثقل على قلبها لم يكن خسارة الوظيفة بقدر ما كان اكتشافها أن القانون لا يضع للأخلاق مكانًا. فالقانون قد يحدد معايير الابتكار، لكنه لا يسأل: هل هذا الابتكار نافع للبشرية أم مضر؟ وهل يحق للعلم أن ينفصل عن القيم بحجة الحياد؟

وتضيف: "لقد أدركت أن هذه المعضلة ليست مجرد سؤال وظيفي، بل قضية تستحق النقاش في الجامعات ومجالس الفكر. فالقانون بلا أخلاق جسد بلا روح، والعلم بلا قيم يتحول إلى سلاح قد يرتد على الإنسانية. أخلاقيات العلم ليست ترفًا، بل هي البوصلة التي تمنح للقانون والمعرفة معناهما وشرعيتهما".

وهنا وجدت نفسي أتعجب: لو أن هذا الموقف حدث في سلطنة عمان، هل سيكون رد فعل المقابل كما حدث معها؟ أنا شخصيًا أشك في ذلك، فقد قرأت أن السلطنة أصدرت مراسيم سلطانية واضحة منعت منح أي براءة اختراع لإبداع يضر بالبيئة أو يمس صحة الإنسان. وهذا بحد ذاته موقف مشرّف، إذ جعلت الحكومة العُمانية الأخلاق فوق القانون العالمي، وانتصرت للمبدأ والقيمة الإنسانية قبل أي اعتبار آخر. إنها خطوة حضارية تُسجل للسلطنة بكل فخر، فهي لم تكتف بتطبيق القانون بحياد بارد، بل أولت عناية قصوى بالبعد الأخلاقي والإنساني. فسلامة

البيئة وصحة الإنسان عندها ليست تفاصيل ثانوية، بل أولوية عليا.

لقد خرجت زميلتي من تجربتها أكثر وعيًا، وخرجت أنا معها أكثر تقديرًا لمكانة الأخلاق حين تنتصر على القانون الجاف. فكل التحية لعُمان وقادتها، الذين أثبتوا أن القانون حين يتشح بالأخلاق يصبح أداة بناء، وأن العلم حين يرتبط بالقيم يظل في خدمة الإنسان لا وبالًا عليه.

حين تفضح الخيول وسوسة الشيطان

منذ أزمنة بعيدة ارتبطت الخيول في الذاكرة الإنسانية بقدرات تتجاوز حدود الطبيعة، فهي في التراث العربي والإسلامي مقرونة بالعزة والقوة والبركة، حتى ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة العاديات لما تحمله من رمزية خاصة. كما تداولت الحكايات الشعبية والقصص المأثورة أن الخيل ترى الجن وتسمع أصواتهم، وأنها قد تضطرب فجأة أو تجفل بلا سبب ظاهر لأنها تلتقط إشارات من عالم آخر، عالم لا تراه أعيننا ولا تدركه حواسنا. هذا الاعتقاد الشعبي لا يقف بعيداً عن ما يقرره العلم اليوم، إذ تؤكد الدراسات الحديثة أن الخيل تمتلك قدرة سمعية متفوقة، حيث تستطيع التقاط ترددات منخفضة تصل إلى أقل من عشرين هرتز، وهو مدى خارج قدرة الأذن البشرية

ومن هذه الحقيقة العلمية يفتح الباب واسعاً للتساؤل الماورائي: ماذا لو أن ما تسمعه الخيل في لحظات ارتباكها هو أصوات قادمة من بعد آخر، من عالم

الغيب الذي طالما حيّر الإنسان وأثار فضوله؟ هنا تتدفق الأسئلة تباعاً: لماذا نجح الإنسان في ابتكار أدوات بصرية مذهلة، مكّنته من رؤية عوالم دقيقة لا تراها العين المجردة عبر المجاهر والعدسات، لكنه لم يفلح في ابتكار جهاز يلتقط ما لا نسمعه نحن كما تلتقطه الخيل والديك والحمار؟ ماذا لو أن العلم تمكن من ذلك؟ هل سنكون حينها قادرين على اقتحام الماورائيات سماعاً؟ هل يمكن أن نصغي إلى وسوسة الشيطان وهو يغوي شخصاً ما؟ أو نلتقط صوت حديث النفس وما يختلج في أعماق الآخرين؟ وهل سيكون لهذا الاكتشاف أثر في موازين الحروب والسياسة إذا صار بالإمكان معرفة النوايا قبل أن تُعلن؟

ناقشتُ هذه الفكرة مع أحد الزملاء فأجابني بأن سماعة الطبيب تمثل مثالاً شبيهاً، إذ مكّنت الإنسان من سماع دقات القلب. غير أنني أوضحت له أن دقات القلب يمكن سماعها حتى بالطرق البدائية القديمة حين يضع الإنسان رأسه على صدر

المريض، فذلك يظل في إطار الأصوات الطبيعية المسموعة. أما ما نبحث عنه فهو أبعد من ذلك بكثير، إنه اختراق لمستويات صوتية لا ندركها نحن، وربما تحمل إشارات من عالم آخر يتقاطع فيه العلم مع الماورائيات.

ولعل المدهش أن المخيلة الشعبية سبقت العلم في هذه الرؤية، فقد كان العرب يقولون إن الخيل إذا جفلت في الليل فذلك لأنها رأت الجن أو سمعت أصواتهم، وكانوا يعتقدون أن بعض الحيوانات الأخرى كالكلاب والحمير تدرك حضور الكائنات الخفية أيضاً. هذه الروايات، وإن بدت في ظاهرها أساطير، فإنها تتناغم مع ما يؤكده العلم حول القدرات السمعية الفائقة لدى هذه الكائنات. وهو ما يمنح تلك المرويات القديمة بعداً جديداً يثير الإعجاب، ويجعلنا نتساءل: هل كانت الحكمة الشعبية أكثر التصاقاً بالحقيقة مما كنا نظن؟

إن مثل هذه الأسئلة ليست مجرد ترف ذهني، بل قد تكون بداية لمشروع بحثي كبير، مشروع قادر على أن يقلب مفاهيمنا العلمية رأساً على عقب إذا ما

استطاع أن يبتكر جهازاً يخترق صمت الماوراء. فربما نستمع حينها إلى أصوات لم نكن نعرف بوجودها، وربما ندرك أن ما اعتبرناه خيالاً أو أسطورة هو في جوهره حقيقة تنتظر العلم ليكشف عنها الستار. فالخيول التي ترفع آذانها فجأة وتنتفض بلا سبب ليست عصبية المزاج فحسب، بل قد تكون نافذة مفتوحة على الغيب، تصغي لما لا نصغي له نحن، وتسمع ما وراء حدود العالم المحسوس. وهنا يكمن التحدي: أن يتحلى العلم بالشجاعة الكافية ليلحق بالخيول، ويغامر بالبحث عن الأصوات التي ما زالت حبيسة العوالم المجهولة.

حوارات في رحاب علم النفس

في رحاب علم النفس، لا تنتهي الأسئلة ولا تتوقف التأملات؛ إنه ذلك البحر الذي كلما غصتُ فيه ازددتُ شغفًا وانبهارًا. بعد أن أنهيتُ الدبلوم الأول مع الدكتورة ياسمين أحمد، ها أنا اليوم أواصل مشواري مع الدكتورة الرائعة دالين باسط من كلية نوتنج هيل البريطانية، حيث يزداد شغفي بهذا العلم يومًا بعد يوم.

علم النفس كان حُلمي منذ طفولتي، لكن تجربة حياتية حادة مررت بها جعلتني أعيه بعمق مختلف، وأشعر بامتنان عظيم للأبواب الرحبة التي فتحها أمامي؛ أبواب جعلتني أعيش الحياة بمتعة ملتهبة وشغف منقطع النظير بالعلم والناس وكل جديد في هذا الميدان الإنساني الرهيب.

بدأنا في دبلوم علم النفس الإكلينيكي بدراسة الاضطرابات العشرة المصنفة في ثلاث مجموعات وفق الدليل التشخيصي والإحصائي الخامس المعدَّل . كانت الدكتورة دالين تعرض الاضطرابات بعمق وتفصيل، ممزوجة بأمثلة وقصص واقعية تجعل

الصورة أكثر وضوحًا. وفي خضم هذا السرد، لم أتمالك نفسي عن طرح سؤال طالما دار في خاطري:

"دكتورة، درسنا الآن الاضطرابات الشخصية، وهي حسب الدليل عشرة... أيعقل أن يكون كل هؤلاء مرضى نفسيين؟! فكل اضطراب يضم سمات تتجاوز الثمان نقاط، هل يعني ذلك أن هذه السمات غير طبيعية؟ ألا يمكن القول ببساطة إنهم مختلفون عنا فحسب؟ لماذا لا نتقبل هذا الاختلاف؟"

ابتسمت الدكتورة دالين ابتسامة هادئة وقالت: "هذه أول مرة يطرح عليَّ أحد هذا السؤال. هذا هو علم النفس؛ علم يقوم على التجربة والاستنتاج والتشخيص، وضع معاييره علماء متمرسون في هذا الحقل الواسع. هذه الاضطرابات لم تُسمَّ اضطرابات إلا لأنها تعيق الإنسان عن أن يعيش حياة صحية هادئة ومتوازنة، وعن أن يحقق السلام الداخلي بداخله."

كانت إجابة أثارت بداخلي عاصفة من الأسئلة الفلسفية. فمن حدد هذه المعايير هم في النهاية بشر، والحقيقة المطلقة لا يعلمها إلا الله. ثم هل هذه المعايير التي وضعها علماء غربيون تصلح لبلداننا العربية والإسلامية؟ فالله خلق الشعوب مختلفة، ولم يجعل ضابطًا إلا الأخلاق. بعض الصفات التي تُدرَج ضمن اضطرابات معينة لا تُعدّ خللًا في ثقافتنا.

خذ مثلًا اضطراب الشخصية الوسواسية القهرية؛ هذه الشخصية تميل للكمال والمثالية والدقة في ملاحظاتها وقراراتها، وتحب الاحتفاظ بالأشياء وتفضل العمل على العلاقات الاجتماعية. ما الخلل في ذلك عندنا؟ أليس من الممكن أن تكون هذه السمات ميزة في ثقافتنا بدلًا من كونها اضطرابًا؟

عندها قالت لي الدكتورة دالين نصيحة ستظل في ذاكرتي طويلًا: "لا تستعجلوا في الفهم. هذه الأمور التشخيصية تحتاج وقتًا لتستوعبوها. كونوا أكثر احترافية ودقة ولا تقبلوا بأنصاف المعلومات". كانت نصيحة ثمينة عمّقت قناعتي بأن هذا العلم ليس مجرد

تصنيفات جامدة، بل تجربة إنسانية واسعة تستحق التريث والتأمل.

الحوار الثاني مع الدكتورة دالين كان أكثر إلهامًا. كنّا نناقش قصة شاب مهندس عاش طفولة مليئة بالحرمان النفسي، وسوء معاملة من والديه. حتى أنه مُنع من شراء قميص بسيط يفرح به.ويعاني بسبب ذلك من حساسية كبيرة من نقد الآخرين لشكله أو تصرفاته مع علاقة إجتماعية محدودة جدا ،مما جعله ينعزل وينطوي على نفسه ويخاف من دخول علاقات مع أناس ما لم يضمن أن يكون محبوبا. شخص الشاب باضطراب الشخصية الإعتمادية التجنبية أو المتحاشية. عمل الشاب على نفسه، خاض جلسات علاجية، وتشافي تدريجيًا حتى أصبح قادرًا على رسم خط جديد لحياته. قال للدكتورة إنه لن يقابل والده إلا بعد أن يصبح لديه بيت وسيارة،ليشعر أنه لم يعد ذلك الولد الذي يطلب الرعاية والمال بإلحاح، بل صار رجلًا مسؤولًا عن حياته.

طرحت عليها سؤالًا آخر: "هذا الشاب ساعده عمله في إثبات ذاته وعلاج نفسه، لكن لو كان في الجامعة ولم يجد عملًا، وسبب مرضه هو عائلته والبيئة التي يعيش فيها، فكيف نستطيع مساعدته على تقدير ذاته وتعزيزها وانتشاله من هذه الأفكار المؤلمة التي يولدها سوء تعامل أهله معه وهم أقرب الناس إليه؟"

أجابت الدكتورة دالين بجملة لن أنساها:

"نحن كمعالجين نفسيين يمكننا تقليل المعاناة، لا الحد من الأذى والألم".

كانت كلماتها صادقة وعميقة. الأذى والشر مغروس في البشر، ستجده أينما ذهبت؛ إن لم يكن من عائلتك فمن مديرك أو مجتمعك. لكن ما نستطيع فعله هو أن نعلّمك كيف تتعامل مع هذا الأذى بطريقة صحية تضمن لك استقرارك النفسي وسلامك الداخلي. وهذا هو جوهر العلاج النفسي

هذه الحوارات والدردشات النفسية جعلتني أزداد يقينًا بأن علم النفس ليس فقط دراسة اضطرابات أو تقنيات علاجية، بل هو رحلة لفهم الإنسان بكل تعقيداته، وللتعامل مع الحياة بوعي وحكمة. إن ما خرجت به من هذه الحوارات أن ثقافة الحوار النفسي ضرورة لمجتمعاتنا العربية والإسلامية. نحن بحاجة أن نتعلم كيف نصغي لأنفسنا وللآخرين، دون خوف من الوصمة أو خجل من الاعتراف بالضعف. ففي عالم يمتلئ بالتحديات، يصبح علم النفس جسرًا لفهم أعمق للذات، وطريقًا لبناء أجيال أكثر وعيًا واتزانًا.

وكما قالت الدكتورة دالين: "يمكننا تقليل المعاناة"، وهذه الجملة وحدها تكفي لتمنحنا أملًا. العلاج النفسي ليس سحرًا يُلغي الألم، لكنه فنّ يمنحنا أدوات نعيش بها بسلام أكثر، ونبني من خلالها حياة أكرم وأنقى.

فلنفتح أبواب الحوار النفسي في بيوتنا ومدارسنا وجامعاتنا؛ لأن بناء الإنسان الواعي هو أعظم استثمار في حاضر الأمة ومستقبلها.

فقط أحببت أن أشارككم هذه التأملات؛ لعلها تفتح لكم بابًا للتفكير أو تثير فيكم سؤالًا جديدًا. فالحوار في النهاية هو أعظم وسيلة لنتعلم وننمو ونواصل المسير.

هل سينقرض العمانيون قريبا؟

في السنوات الأخيرة، شهدت سلطنة عُمان ارتفاعًا مقلقًا في معدلات الأمراض النفسية بمختلف أشكالها، من اكتئاب وقلق وضغوط حياتية مزمنة، وهي أمراض لم تعد تقتصر على فئة معينة من المجتمع، بل باتت تمسّ الشباب والكهول والنساء على حد سواء.تشير أحدث الإحصاءات الصادرة عن وزارة الصحة إلى أن عدد زوار العيادات النفسية في سلطنة عُمان قد شهد ارتفاعًا واضحًا خلال عام 2022، إذ زار أكثر من 15 ألف مريض جديد العيادات النفسية لأول مرة، كما بلغ إجمالي الزيارات نحو 108 آلاف زيارة، بزيادة تُقدّر بـ8% مقارنة بعام 2021. هذه الأرقام تعكس حجم التحدي الذي يواجهه المجتمع العُماني في مجال الصحة النفسية، وتؤكد أن الحالات النفسية لم تعد ظاهرة محدودة، بل أصبحت واقعًا يتطلب تعاملًا وطنيًا شاملًا على المستويين العلاجي والاجتماعي.

وقد استجابت وزارة الصحة لهذه الظاهرة بجهود كبيرة لتوفير العلاج النفسي والدوائي، حرصًا منها على سلامة المواطن النفسية وحمايته من الانهيار في ظل ظروف الحياة المعاصرة المتسارعة. غير أن هذا السعي الإنساني والعلمي، وإن كان نبيلاً في جوهره، يحتاج إلى وقفة مراجعة صادقة تُعيد النظر في مدى مأمونية بعض الأدوية النفسية التي باتت تُصرف على نطاق واسع، وفي آثارها الجانبية التي قد تمتد من الجسد إلى نسيج المجتمع بأكمله

تستهلك الأدوية النفسية جزءًا كبيرًا من ميزانية القطاع الصحي بسبب ارتفاع أسعارها واعتماد أعداد متزايدة من المرضى عليها بشكل مزمن، مما يجعلها عبئًا اقتصاديًا مستمرًا على الدولة. لكن الكلفة المالية، مهما ارتفعت، لا تُقارن بخطورة الكلفة البشرية والاجتماعية التي قد تنجم عن سوء استخدام هذه العقاقير أو غياب المتابعة الدقيقة لآثارها طويلة الأمد. فالكثير من هذه الأدوية، وخاصة مضادات الاكتئاب

ومهدئات القلق ومثبتات المزاج، تتشارك في عرض جانبي بالغ الخطورة يتمثل في ضعف الدافع الجنسي وانخفاض الرغبة في العلاقة الزوجية، وهو عرض قد يبدو بسيطًا أو ثانويًا عند تناوله فرديًا، لكنه على مستوى المجتمع يشكل تهديدًا صامتًا للبنية السكانية العُمانية

لقد لوحظ في السنوات الأخيرة تراجع ملحوظ في معدلات الزواج والإنجاب في السلطنة،ولا تتوقف مؤشرات القلق عند حدود تراجع الرغبة في الزواج أو الإنجاب فحسب، بل تمتد إلى أرقام الإحصاءات الرسمية التي تكشف تقلصًا فعليًا في أعداد المواليد العُمانيين عامًا بعد عام. فإذا ما ألقينا نظرة على المؤشر البياني للمواليد في السلطنة، نلحظ أن العام 2017 شهد ميلاد نحو 90 ألف طفل عُماني، بينما انخفض العدد إلى 82 ألفًا في عام 2021، أي بنسبة انخفاض بلغت 2.58%، ثم واصل التراجع في عام 2022 ليصل إلى 75 ألف مولود فقط. وإذا ما

أضفنا إلى ذلك أعداد الوفيات السنوية، فإن الفارق بين المواليد والوفيات يُنذر بفجوة سكانية متزايدة قد تُلقي بظلالها على مستقبل التركيبة السكانية في البلاد، وتطرح تساؤلات جدّية حول قدرة المجتمع على تجديد قواه البشرية والحفاظ على استدامته الديموغرافية.

وهو تراجع تُعزى أسبابه غالبًا إلى عوامل اقتصادية أو اجتماعية، غير أن تزامن هذا الانخفاض مع الانتشار الواسع لاستخدام الأدوية النفسية يثير تساؤلاً علميًا مشروعًا: هل يمكن أن تكون هذه الأدوية، بآثارها على الغريزة الجنسية، أحد العوامل غير المباشرة في عزوف الشباب عن الزواج أو في تراجع الرغبة في الإنجاب لدى المتزوجين؟ إن ضعف الرغبة الجنسية ليس مسألة خاصة أو عابرة، بل هو مشكلة تمسّ كيان الأسرة وتماسكها، وتؤثر على استقرار المجتمع ونموّه الطبيعي. وحين يتراجع الإقبال على الزواج والإنجاب، يبدأ القلق الوجودي

من المستقبل الديموغرافي يطلّ برأسه، فيتحول العرض الجانبي الدوائي إلى ناقوس خطر وطني

إن هذا المقال لا يهاجم وزارة الصحة، بل يدعوها بكل تقدير واحترام إلى مراجعة واعية لسياسات صرف الأدوية النفسية، وإلى تبني نهج أكثر توازنًا بين العلاج الدوائي والعلاج النفسي السلوكي، بحيث لا يكون الدواء هو الخيار الأول ولا الأخير في مواجهة الاضطرابات النفسية. كما أن من الضروري أن يتم توعية المرضى بآثار هذه الأدوية قبل وصفها، وأن يُدرّب الأخصائيون النفسيون على مساعدة الناس في محاربة الأمراض النفسية بقوة الفكر والعزيمة والدعم المجتمعي، لا بالاعتماد الكامل على العقاقير الكيميائية. ومن المهم كذلك أن تُموَّل أبحاث وطنية جادة لدراسة العلاقة بين استخدام هذه الأدوية ومعدلات الخصوبة والزواج في المجتمع العُماني، لأننا لا نستطيع أن نعالج أزمة صحية بمعزل عن آثارها الاجتماعية

قد يبدو عنوان هذا المقال صادمًا، لكنه يعبّر عن قلق حقيقي يجب أن يُناقش بعلم وشفافية لا بخوف أو حساسية. إن الحفاظ على صحة المواطن النفسية واجب مقدس، لكن الحفاظ على بقاء المجتمع واستمراريته واجب أشمل. فهل يمكن أن نُعالج النفس دون أن نُضعف الجسد؟ وهل يمكن أن نحمي الإنسان من الاكتئاب دون أن نُطفئ في داخله شعلة الحياة؟ آن الأوان أن تُدقّ أجراس التنبيه، لا بسبب تفشي الأمراض النفسية فحسب، بل بسبب ما قد تخلّفه بعض الأدوية من آثار قد تمسّ مستقبل الأمة ذاته. إن مستقبل العمانيين لا يُقاس بعدد العقاقير التي تُصرف، بل بقدرتهم على الحياة، والحب، والإنجاب، وبإيمانهم أن العلاج الحقيقي يبدأ من الفكر، والإرادة، والروح قبل أن يكون من زجاجات الدواء.

وفي نهاية المطاف، يبقى الحبّ والزواج ، لا العقاقير، هو جوهر الشفاء الحقيقي. فمهما بلغت

فعالية الأدوية النفسية، ومهما تطورت أساليب العلاج الحديثة، لن تستطيع أن تُعيد للإنسان دفء الحياة كما يفعل الحبّ .

وكما قالت هاجر في رواية "لن ينتهي البؤس" للكاتب محمد طارق:

«لم أتعافَ من الوسواس بسبب الأدوية، لم أتعافَ من الوسواس بالعزلة، تعافيت من الوسواس بسبب الحب؛ الحب وحده خير دواء وعلاج، الحب أسمى معاني وقيم الحياة الإنسانية، الحب يرد فينا الروح الغائبة، يعود بنا إلى طفولتنا وزهدنا، الحب يؤكد ويذكرنا أننا ما زلنا نحيا».انتهى

بين بو قُلة والقروش...ضاعت المقالات

لم أحتر يوماً عمّا أكتب كل أسبوع في صحيفة المسار الراقية، فدفاتري ممتلئة بعناوين مقالات تنتظر فقط إشارة الانطلاق من قلمي. غير أن ما جعلني أحتار هذه المرة لم يكن فراغ الأفكار، بل امتلاؤها بشخصٍ واحد اسمه – أو بالأحرى لقبه – بو قُلة. قد لا تعرفونه، ولا حاجة لمعرفة تفاصيله، فهو الوحيد فقط الذي يدري أنه يحمل هذا اللقب في عالمٍ صغير بيني وبينه والله فقط. بو قُلة هذا لا يعجبه شيء إطلاقاً، لا في مقالاتي ولا حتى في طريقة نطقي لكلمة "مقال". ينتقد كل شيء باحترافية الصحفي الودود، ورغم أنه – والله يشهد – لا يستطيع كتابة فقرة واحدة من نوع "كان يا ما كان"، إلا أنه يصرّ على أني بحاجة إلى "تحسين أسلوبي". ورغم أنه يعلم أن مقالاتي تحقق شهرة أكثر من أغلب القراء الذين يتابعهم، إلا أن لسانه عجز تماماً عن قول "برافو."

قبل أيام عرضت عليه مقالاً بعنوان: "البوابة الشيطانية التي فُتحت بتاريخ 10 أكتوبر". كنت متحمسة حدّ القفز من مكاني بانتظار رأيه، لكنه بعد يوم كامل قال لي بكل برود: "قرأت المقدمة وما كملته، ما عجبني.حينها أقسمت له أن أكتب مقالاً له خصيصاً، مقالاً لا يستطيع انتقاده، بل سيقرأه حتى النقطة الأخيرة، فقلت: سأكتب عن أكثر شيئين يحبه بو فُلة... القروش والحب. لكنني سرعان ما اكتشفت أني لا أصلح للكتابة عن الحب، لأن قلبي كاتب متقاعد من زمن، فقررت أن أكتب عن القروش.

وهنا كانت الطامة الكبرى، اكتشفت أني لا أعرف عن القروش (المال لا السمك) شيئاً يُذكر، سوى أن الناس تطاردها كما تطارد القروش فريستها في البحر. تذكّرت حينها موقفاً قديماً في دبلوم علم النفس الإكلينيكي. سألت الدكتورة – وهي امرأة خبرتها في العلاج النفسي تتجاوز عشرين عاماً – سؤالاً حيّرني طويلاً: "لو جاء إنسان مريض ومتعب، لكنه لا يملك

المال أبداً... هل أعالجه مجاناً رحمةً به؟" فابتسمت وقالت بصرامة: "لا تعالجي أحداً مجاناً أبداً، لابد أن يدفع ولو 10 دولارات".

كلامها بدا قاسياً في البداية. عشرة دولارات فقط؟! ما قيمتها؟ ولماذا لم تقل "عالجيه مجاناً"؟ لكن مع مرور الوقت أدركت أن كلامها يحمل من الحكمة ما يشبه درساً خفياً في علم النفس التحفيزي. ففي علم النفس الإنساني ،ذكر موسلو في هرمه أن هناك دوافع للإنسان للعمل والعطاء وأهم هذه الدوافع هي المال ،لذلك فإنك إذا وضعت ثمنا لعلاجه ،وما يريد أن يحصل عليه، حينها سيدرك فقط أن للحياة قيمة ومعنى ،ونحتاج أن نسعى للحصول على المال، لأن المال به فقط نستطيع العيش والحصول على ما نريده في هذه الحياة، مما يجعله يتحفز ويندفع لعيش الحياة وتحمل صعابها وذلك للوصول لهذا الذي يحقق كل شيء قد يريد الحصول عليه ومنه رغبته في العلاج والتشافي، بعد أن مر بفترة صعبة كبيرة ومعاناة حادة ،أدرك أنه لن يخرج منها إلا إذا وجد المال ،الذي لا

يأتي إلا بحب الحياة وصراعتها، وتحمل ما بها من مشقة وكبد. المال هنا ليس قيمة مادية فقط، بل هو رمز للمسؤولية. عندما يدفع الإنسان حتى مبلغاً بسيطاً، يشعر أن له دوراً في عملية التغيير، وأنه شريك في الحل وليس متلقياً للرحمة فقط.أن العلاج المجاني "يُربك المريض ويشوّه التفاعل التحليلي" كما قال فرويد في أحد مراسلاته لزملائه، لأن الشعور بالاستحقاق والدفع يعزز إدراك المريض لقيمة العملية العلاجية.

ويؤكد عالم النفس الشهير فيكتور فرانكل، مؤلف كتاب "الإنسان يبحث عن معنى"، أن الإنسان يحتاج أن يشعر أن لحياته قيمة وثمناً كي يستعيد توازنه. إن منح العلاج مجاناً يُسقط من المريض هذا الإحساس بالمعنى، فيتحول من "مشارك في العلاج" إلى "متسول للنجاة". حتى سيغموند فرويد نفسه كان يقول إن "الدفع جزء من العلاج"،حيث قال في كتابه الشهير:"نصائح الأطباء في الممارسة التحليلية : "

"ليس من الحكمة أن يقدم الطبيب تضحيات من أجل المريض، وعليه أن يُصرّ على استلام أجره كقاعدة عامة".

لأن من يدفع مقابل الجلسة يشعر أن صوته ووجعه يستحقان أن يُسمعا، وأن الجهد المبذول في شفائه ليس ترفاً بل استثماراً في ذاته.

وهكذا فهمت الدكتورة، وفهمت القروش... وربما فهمت بو فُلة قليلاً. فالمال ليس فقط ما يملأ الجيب، بل ما يملأ الإنسان دافعاً للحياة. القروش هي المحرك الخفي لكل ما نحاول تحقيقه: للعلاج، للتعليم، وحتى للكتابة. وأنا هنا أفي بوعدي لبو فُلة: كتبت عن القروش، وكتبت عنها من قلبٍ علمي ونَفَسٍ ساخر، وربما – لو كان كريماً كعادته في النقد – سيقرأ المقال هذه المرة حتى النهاية. وإن لم يفعل... فسأضطر أن أكتب له المقال القادم بعنوان: "بو فُلة والحب... قصة شخص لم يحب مقالاً قط!

البوابة الشيطانية التي فتحت بتأريخ (10/10)

منذ أعوام طويلة، لم تهدأ الأسئلة حول ما يجري عند سفح أهرامات الجيزة بعد غروب الشمس. وخاصة الهرم الأكبر خوفو الذي سرقت قمته من قبل قرون ولا يدري أحد أين مصيرها، رغم أن الدكتورة مايا صبحي خرجت وتحدثت حول من سرقها ولماذا وما علاقتها بالعين التي تعتلي الدولار الأمريكي في الهرم المرسوم فيه.هذه الكتلة الحجرية العتيقة من الأهرامات التي قاومت آلاف السنين ما زالت قادرة على إثارة الغموض، وكأنها تحتفظ بسرّ لا يريد أن يُقال. فبين حين وآخر، تُقام هناك حفلات موسيقية ضخمة يصفها البعض بأنها فنية عابرة، ويرى آخرون فيها طقوساً غريبة تتكرر في تواريخ غير عادية. الحفل الشهير الذي جرى في 11 نوفمبر 2011 ما زال حتى اليوم مثار الجدل، إذ اختير له رقم مثير للرمزية: 11/11/11، الرقم الذي يرى فيه بعض المتابعين إشارة ماسونية أو شفرة رمزية، خصوصاً أن العرض حينها امتلأ بأشكال هندسية

مضيئة وأصوات إلكترونية تذكّر بطقوس غامضة أكثر منها حفلاً موسيقياً عادياً.

واليوم، بعد مرور أكثر من عقد، يتكرر المشهد بتفاصيل جديدة، لكن بروحٍ مشابهة. في 10 أكتوبر 2025 أقيم حفل Anyma العالمي، الذي جمع أكثر من عشرة آلاف سائح أجنبي عند أهرامات مقابل 4 آلاف مصري فقط-وبعض النظر عن هذا الرقم الكبير الحاضر فجأة من وسط المجهول إلى مصر-وسط عروض ضوئية ضخمة ورموز بصرية حيّرت من شاهدها.كأحد حفلات التكنو العالمية. أحد المقاطع التي انتشرت في مواقع التواصل أظهر كائناً مظلماً مقيّداً بالسلاسل، يتلوّى حتى يتحرر وينطلق في الهواء، في مشهد قرأه آخرون بوصفه تجسيداً لتحرر الشرّ المقيد منذ زمن بعيد، وأنطلاقا للدجال. والقربان التي قدمت له كانت هي دماء الشهداء في غزة. لم يكن اختيار هذا التاريخ عشوائياً، فاليوم نفسه هو اليوم العالمي للصحة النفسية، وهو ما جعل البعض يتساءل عن المغزى العميق من هذا التزامن:

كيف يجتمع الحديث عن التوازن النفسي في العالم، مع عرضٍ بصري يجسّد الانفلات والظلام والقيود؟

هناك من رأى في ذلك مصادفة بريئة، مجرد جدول زمني وافق هذا اليوم. لكن هناك من قرأ ما وراء المشهد، فالأهرامات لطالما ارتبطت في الموروثات القديمة بمواقع للطاقة الروحية، وبأنها نقاط التقاء بين السماء والأرض، بل يذهب البعض إلى أنها "بوابات" يمكن من خلالها فتح مجالات أخرى من الوعي. فكرة لم تثبت علمياً، لكنها ظلت حاضرة في الخيال الإنساني. لذلك، عندما يُقام عرض عالمي يختلط فيه الفن بالرمز عند هذه النقطة بالذات، وفي توقيتٍ يرتبط بموضوع النفس البشرية، لا عجب أن يتسع باب التأويل.

الرموز المستخدمة في حفلات مثل "أنيما" لا تبدو بريئة تماماً في عيون كثيرين. فالفن الحديث لا يعبّر فقط بالإيقاع والصوت، بل يستخدم الصورة والرمز لإيصال رسائل غير مباشرة عن طريق ذبذبات وموجات صوتية ،قادرة حتى على السيطرة على

الحضور وإن كان بصورة لاواعية. وفي زمن تتصاعد فيه معدلات القلق والاكتئاب في العالم العربي، وتنتشر فيه الأمراض النفسية انتشار النار في الهشيم. بدأ البعض يربط بين هذه الظواهر النفسية التي انتشرت بصورة مفجعة في عالمنا العربي، وبين التعبير الرمزي الصوري لتحرر الكائن المقيد في حفل الأنيما الذي أقيم. فما الذي تحرر بالضبط في يوم الصحة النفسية العالمي؟

من الصعب الجزم. لكن من السهل ملاحظة أن اختيار التواريخ المميزة مثل 11/11 و10/10 يتكرر-مع التركيز على رمزية الرقمين 11 و10 عند الطوائف الباطنية مثل الماسونية-وأن هذه الحفلات دائماً تُقام في الليل، ما بين الغروب وساعات ما قبل الفجر، وهي الفترة التي وصفها القدماء بأنها "الساعة الرمادية" أو الساعة "السوداء" ، حين يختلط عالم البشر بعالم الظلال.وهذا الوقت الذي حذرنا فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه وقت إنتشار الشياطين والكائنات السفلية.حيث بدأ الحفل هذا ،عند

الساعة 5 مساء، أي قبل الغروب بساعة،وأنتهى في الساعة 3 فجرا. هل هذه كلها مصادفات فنية؟ أم أنها جزء من لغة رمزية تستدعي الغموض عمداً لتجذب الانتباه وتُبقي الباب مفتوحاً أمام كل تفسير ممكن؟ وهل تم فتح فعلا بهذا الحفل بوابة شيطانية للسيطرة على عقول الناس ،عن طريق نشر الأمراض النفسية في يوم من أهم أيام الصحة النفسية.. حيث إجتمع في هذا اليوم صنفين من الناس ،صنف زعم أنه يعالج الأمراض النفسية المنتشرة، والصنف الآخر كان من فتح البوابة لشيء عظيم عند أهرامات الجيزة.. ربما تكون هذه محض مصادفات ،لكن حتما سندرك يوما من الأيام، أن هناك مافيا تحت أسماء كثيرة خيرية ومنها الطب النفسي مثلا .

الأهرامات صامتة، لكنها تشهد. وما يجري حولها لا يبدو عابراً كما يُقال. في كل مرة تُضاء أضلاعها بألوان غريبة، تشتعل الأسئلة من جديد: لماذا هنا؟ ولماذا الآن؟ ولماذا دائماً عند تكرار الأرقام؟ قد يكون الأمر فناً معاصراً يستغل قوة الرمز، وقد يكون شيئاً

آخر يتجاوز الفن ذاته. بين الحقيقة والوهم خيط رفيع، لكنه كافٍ لأن يجعلنا نتساءل إن كانت هذه الحفلات مجرّد عروض، أم إشارات لشيء أكبر يُبنى في الظل... هناك، عند بوابة التاريخ، حيث ينام الحجر وتستيقظ الأسطورة.